

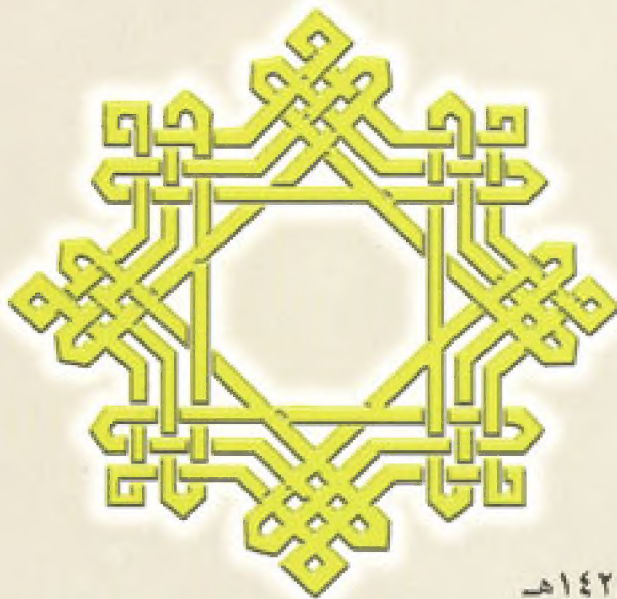
المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي



التوحيد

للفيف الثالث الثانوي

قسم العلوم الشرعية والعربية
(بنين)



طبعة ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ

٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م

يُمنع مبيعاً ولا بيعاً

- قررت وزارة التربية والتعليم تدريس
- هذا الكتاب وطبعه على نفقتها



المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي

التوحيد

للفصل الثالث الثانوي

قسم العلوم الشرعية والعربية

(بنين)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السعودية، وزارة التربية والتعليم
التوحيد: للصف الثالث الثانوي: قسم العلوم الشرعية والعربية-
ط ٣. - الرياض.
١٥٠ ص ٢١١ x ٢٣ سم
ردمك: ٢-٦٩-١٩-٩٩٦٠
١- التوحيد-كتب دراسية ٢- التعليم الثانوي-السعودية-كتب
دراسية ١- العنوان.
دبوي ٢٤٠ ١٩/٠١٣٩

١٩/٠١٣٩

رقم الإيداع: ١٩/٠١٣٩

ردمك: ٢-٦٩-١٩-٩٩٦٠

لهذا الكتاب قيمة مهمة وفائدة كبيرة فحافظ عليه
واجعل نظافته تشهد على حسن سلوكك معه

إذا لم تحتفظ بهذا الكتاب في مكتبتك الخاصة في آخر
العام للاستفادة فاجعل مكتبة مدرستك تحتفظ به ...

موقع الوزارة

www.moe.gov.sa

موقع الإدارة العامة للمناهج

www.moe.gov.sa/curriculum/index.htm

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمناهج وحدة العلوم الشرعية

runit@moe.gov.sa

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لوزارة التربية والتعليم

بالمملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرس العام

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٢	خطر الكهنة والسحرة والعرافين على الناس	٧	الفصل الدراسي الأول
٥٥	الرقى والتماائم	٨	محتويات الباب الأول
٥٨	الطيرة	٩	الانحراف في حياة البشرية
٦٠	تقديم القرابين والتذور والهدايا للمزارات	١٢	الشرك: تعريفه - أنواعه
٦١	والقبور وتعظيمها	١٣	أنواع الشرك
٦٣	مخالفة الناس سنة النبي ﷺ في القبر	١٧	نقض شبهات المشركين التي يتعلقون بها في تبرير شركهم
٦٥	تعظيم التماائم والنصب التذكارية	٢٠	الكفر: تعريفه - أنواعه
٦٦	الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته	٢٣	التفارق: تعريفه - أنواعه
٦٧	من صور الاستهزاء	٢٧	الجاهلية
٧٠	ادعاء حق التشريع والتحليل والتحريم	٢٩	الفسق
٧٢	الحكم بغير ما أنزل الله	٣٠	الضلال
٧٤	حكم من حكم بغير ما أنزل الله	٣١	الردة وأقسامها وأحكامها
٧٤	الانتماء إلى المذاهب الإلحادية والمادية	٣٢	التكفير
٧٧	أثر الحزبيات في تفريق المسلمين	٣٧	محتويات الباب الثاني
٧٩	النظرة المادية للحياة	٣٨	شرك الخوف
٨١	النظرة الصحيحة للحياة	٤٠	شرك المحبة
٨٢	الفصل الدراسي الثاني	٤٣	شرك التوكل
٨٢	الحلف بغير الله والتوسل والاستعانة بال مخلوق	٤٥	ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفتجان وغيرهما
٨٣	حكم الحلف بغير الله	٤٥	تعريف التنجيم
٨٥	التوسل بالمخلوق إلى الله تعالى	٤٧	الاستسقاء بالأنواء
٨٨	حكم الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق	٤٩	نسبة النعم إلى غير الله
٩١	سوء الظن بالله	٥١	السحر والكهانة والعرافة
٩٤	سب الدهر والريح		
	قول (لو) في بعض الحالات		

تابع الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١١٧	مكانة الولاء والبراء في الإسلام	٩٦	محتويات الباب الثالث
١١٨	من لوازم موالة المؤمنين		محبة الرسول ﷺ وتعظيمه والنهي عن الغلو
١٢٠	الفرق بين المداهنة والمداراة	٩٧	والإطراء في مدحه وبيان منزلته ﷺ
١٢١	نماذج من الولاء والبراء	٩٩	حكم بيان منزلته ﷺ
١٢١	الاستعانة بغير المسلمين	١٠٠	تعظيم سته ﷺ
١٢٢	التعامل مع غير المسلمين	١٠١	طاعته ﷺ والافتداء به
١٢٣	نماذج من التعامل مع غير المسلمين	١٠٢	شدة الحاجة إلى معرفة سته ﷺ
١٢٥	محتويات الباب الخامس	١٠٣	الصلاة والسلام على الرسول ﷺ
١٢٦	تعريف البدعة - أنواعها وأحكامها	١٠٤	فوائد الصلاة على النبي ﷺ
١٢٧	حكم تقسيم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة		فضل أهل البيت وما يجب لهم من غير جفاء
١٢٩	ظهور البدع في حياة المسلمين	١٠٥	ولا غلو
١٣٠	الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع ومفاسدها	١٠٦	مذهب السلف في أهل البيت
	موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة ومنهج السلف في الرد		فضل الصحابة وما يجب اعتقاده فيهم ومذهب أهل
١٣٣	عليهم	١٠٧	السنة والجماعة فيما حدث بينهم
١٣٦	نماذج من البدع المعاصرة	١٠٨	تفاضل الصحابة
١٣٦	الاحتفال بمولد النبي ﷺ		مذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بين الصحابة
١٣٨	التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص	١٠٨	من الفتال والفتنة
١٣٩	البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله		من مسالك أهل البدع وأعداء الدين استغلال ما
١٤٠	خطر البدع	١١٠	حدث بين الصحابة
١٤١	ما يعامل به المبتدعة	١١١	النهي عن سب الصحابة وأئمة الهدى
١٤٢	محتويات الباب السادس	١١٤	الفن
١٤٣	مذهب السلف في كرامات الأنبياء	١١٧	محتويات الباب الرابع
١٤٤	صفات أهل السنة والجماعة	١١٧	الولاء والبراء (تعامل المسلم مع المسلم وغير المسلم)
	مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي يتحلى بها أهل	١١٧	تعريف الولاء والبراء
١٤٦	السنة والجماعة		

الفصل الدراسي الأول

الانحراف في حياة البشرية ولمحة تاريخية عن الكفر والشرك والنفاق

ويتضمن الفصول التالية :

الفصل الأول	: الانحراف في حياة البشرية .
الفصل الثاني	: الشرك - تعريفه وأنواعه .
الفصل الثالث	: نقض شبهات المشركين التي يتعلقون بها في شركهم .
الفصل الرابع	: الكفر - تعريفه وأنواعه .
الفصل الخامس	: النفاق - تعريفه وأنواعه .
الفصل السادس	: الجاهلية .
الفصل السابع	: الفسق .
الفصل الثامن	: الضلال .
الفصل التاسع	: الردة : أقسامها ، أحكامها - التكفير .

عبادة الله تعالى هي الغاية:



خلق الله الخلق لعبادته، وهياً لهم ما يعينهم عليها من رزقه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ (٥٢) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٣).

التوحيد هو الفطرة:



والنفس بفطرتها إذا تركت كانت مُقِرَّةً لله بالإلهية مُحِبَّةً لله تعبد به لا تشرك به شيئاً. فالتوحيد مركوز في الفطر والشرك طارئ ودخيل عليها، قال الله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) (٣).

فالأصل في بني آدم التوحيد والدين والإسلام من عهد آدم عليه السلام ومن جاء بعده من ذريته قروناً طويلة، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ (٤).

بداية الانحراف في تاريخ البشرية:



وأول ما حدث الشرك والانحراف عن العقيدة في قوم نوح عليه السلام، فكان هو أول رسول، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (٥).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام.

(١) الآيات (٥٦-٥٨) من سورة الشورى.

(٢) الآية (٣٠) من سورة الروم.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فبات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام ج ٢ ص ٩٧ ومسلم كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين حديث رقم ٢٦٥٨ صفحة ٢٧-٢٨.

(٤) الآية (١٦٣) من سورة النساء.

(٥) الآية (٢١٣) من سورة البقرة.

قال ابن القيم : وهذا القول هو الصواب قطعاً فإن قراءة أبي بن كعب (يعني في آية البقرة) : **(فَاخْتَلَفُوا فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ)**^(١)، ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى : **(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا)** ^(٢). فبعثة النبيين سببها الاختلاف عما كانوا عليه من الدين الصحيح .

وكان العرب بعد ذلك على دين إبراهيم - عليه السلام - حتى جاء عمرو بن لُحَيّ الحُزَاعِي فَعَبَّرَ دين إبراهيم وجلب الأصنام إلى أرض العرب وإلى أرض الحجاز بصفة خاصة، فَعُبِدَتْ من دون الله وانتشر الشرك في هذه البلاد المقدسة وما جاورها، إلى أن بعث الله نبيه محمداً خاتم النبيين - ﷺ - فدعا الناس إلى التوحيد واتباع ملة إبراهيم وجاهد في الله حق جهاده حتى عادت عقيدة التوحيد وملة إبراهيم وكسر الأصنام وأكمل الله به الدين وأتم به النعمة على العالمين، وسارت على نهجه القرون المفضلة من صدر هذه الأمة، إلى أن فشا الجهل في القرون المتأخرة ودخلها الدخيل من الديانات الأخرى فعاد الشرك إلى كثير من هذه الأمة بسبب دعاة الضلال وبسبب البناء على القبور متمثلاً بتعظيم الأولياء والصالحين وادعاء المحبة لهم حتى بنيت الأضرحة على قبورهم، وأَتَّخَذَتْ أَوْنَاناً تعبد من دون الله بأنواع القربات من دعاء واستغاثة وذبح ونذر لمقاماتهم .

وَسَمَّوْا هذا الشرك توسلاً بالصالحين إظهاراً لمحبتهم وليس عبادة لهم بزعمهم، ونسوا أن هذا هو قول المشركين الأولين حيث يقولون : **﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾** ^(٣).

ومع هذا الشرك الذي وقع في البشرية قديماً وحديثاً فالأكثرية منهم يؤمنون بتوحيد الربوبية وإنما يشركون في العبادة كما قال تعالى : **﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾** ^(٤).

ولم يجحد وجود الرب إلا نزر يسير من البشر كفرعون والملاحدة الدهريين والشيوعيين في هذا الزمان، وجحودهم به من باب المكابرة وإلا فهم مضطرون للإقرار به في باطنهم وقرارة نفوسهم، كما قال تعالى : **﴿ وَحَدِّثْ إِلَىٰ يَوْمِ لَا يَكْفُرُ لَكُمْ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَكُمْ كَاذِبٌ ﴾** ^(٥).

وعقولهم تعرف أن كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد، وأن نظام هذا الكون المنضبط الدقيق لا بد له من مدبر حكيم قدير عليم، من أنكره فهو إما فاقد لعقله أو مكابر قد ألغى عقله وسفه نفسه وهذا لا عبرة به .

(٣) الآية (٣) من سورة الزمر .

(٢) الآية (١٩) من سورة يونس .

(١) إلهام الלהان (٢٠١/٢) .

(٤) الآية (١٤) من سورة النمل .

(٥) الآية (٦) من سورة يوسف .

الأسئلة

س ١ : لماذا خلق الله الخلق مع الاستدلال على ذلك؟

س ٢ : اختر الإجابة الصحيحة:

(أ) الإنسان مفضل على الخير والشر.

(ب) الأصل في بني آدم الشرك فبعث الله النبيين لدعوتهم إلى التوحيد.

(ج) كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام.

(د) جاء قصي بن كلاب فغير دين إبراهيم الذي كان عليه العرب.

(هـ) أول من عبد الأصنام وجلبها إلى جزيرة العرب قبيلة خزاعة.

س ٣ : ما المراد بالإيمان في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَوْفَىٰ أَكْثَرُهُمْ بِأَعْقَابِهِمْ إِلَّا وَعُهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴾ ؟

الشرك: تعريفه - أنواعه

الفصل
الثاني

(أ) تعريفه :



الشرك هو جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، والغالب وقوع الإشراك في الألوهية بأن يدعو مع الله غيره أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة.

خطر الشرك وعظمه :



الشرك أعظم الذنوب وذلك لأمر:

- ١ - لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فمن أشرك مع الله أحداً فقد شبهه به، وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١). والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، فمن عبد غير الله فقد وضع العبادة في غير موضعها وصرفها لغير مستحقها وذلك أعظم الظلم.
- ٢ - أن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).
- ٣ - أن الله أخبر أنه حرّم الجنة على المشرك وأنه خالد مخلد في نار جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ مِنْ شِرْكَ بِاللَّهِ فَفَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٣).
- ٤ - أن الشرك يحبط جميع الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥).
- ٥ - أن المشرك إذا قاتل المسلمين يكون حلال الدم والمال، أما إذا لم يقاتل المسلمين فلا يعتدى عليه كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَقْسِدُوا إِلَهُ اللَّهِ لَا يُحِبُّ الْمُقْسِدِينَ﴾^(٦).

(٣) الآية (٧٧) من سورة المائدة.

(٢) الآية (١٦) من سورة النساء.

(١) الآية (١٣١) من سورة لقمان.

(٦) الآية (١٩٠) من سورة البقرة.

(٥) الآية (٦٥) من سورة الزمر.

(٤) الآية (٨٨) من سورة الانعام.

أما الكافر الموجود في بلاد المسلمين التي فتحوها أو من جاء من الكفار إلى بلاد المسلمين لعمل أو تجارة وأعطوا العهد والأمان فهؤلاء لا يجوز الاعتداء على أموالهم أو أعراضهم أو قتلهم، وقد أخرج البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)^(١).

٦ - أن الشرك تنقص وعيب نزة الرب سبحانه نفسه عنه فمن أشرك بالله فقد نسب لله ما نزه نفسه عنه وهذا غاية المخادة لله تعالى وغاية المعاندة والمشاقة لله.

٧ - أن الشرك أكبر الكبائر، عن أبي بكره رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) ثلاثاً، قلنا: بلى يا رسول الله قال: (الإشراك بالله وعقوق الوالدين) الحديث^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «أخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف بأسمائه وصفاته ويعبد وحده لا يشرك به»، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾^(٣). وأن يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٤). ومن أعظم القسط التوحيد وهو رأس العدل وقوامه، كما أخبر أن الشرك ظلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٥).

فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر. أ. هـ^(٦).

(ب) أنواع الشرك:



النوع الأول:

شرك أكبر يخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار إذا مات ولم يتب منه، وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، كدعاء غير الله والتقرب بالذبائح والتذوق لغير الله من أصحاب القبور والجن

(١) رواه البخاري كتاب الجزية والموادعة، باب إن من قتل معاهداً بغير جرم، ج ٣، ص ١٦٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها حديث رقم ٨٧ ص ٩١.

(٣) الآية (٥١) من سورة الشورى.

(٤) الآية (٢٥١) من سورة الأنعام.

(٥) الآية (١٣) من سورة لقمان.

(٦) الجواب للكاظمي ص ٩ - ١٠.

والشياطين، ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات مما يمارس الآن حول الأضرحة المبنية على قبور الأولياء والصالحين. قال تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (١).

النوع الثاني:

شرك أصغر لا يخرج من الملة لكنه ينقص التوحيد وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو قسمان:-

القسم الأول: شرك ظاهر وهو: النفاذ وأفعال. فالألفاظ كالحلف بغير الله، قال ابن عمر رضي الله عنهما:- لا يحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) (٢).

وقول: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان. والصواب أن يقال: ما شاء الله ثم فلان، ولولا الله ثم فلان، لأن ثم تقتضي الترتيب مع التراخي فتجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣)، وأما الواو فهي لطلق الجمع والاشتراك لا تقتضي ترتيباً ولا تعقياً.

وأما الأفعال: فمثل لبس الخلقة والخيطة لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التماثيل خوفاً من العين وغيرها إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه فهذا شرك أصغر؛ لأن الله لم يجعل هذه أسباباً. أما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر؛ لأنه تعلق بغير الله.

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي وهو الشرك في الإرادات والنيات- كالرياء والسمعة- كأن يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله يريد به ثناء الناس عليه، كأن يحسن صلاته أو يتصدق لأجل أن يمدح ويثنى عليه، أو يتلفظ الذكر ويحسن صوته بالثلاوة لأجل أن يسمعه الناس فيثنوا عليه ويمدحوه، والرياء إذا خالط العمل أبطله.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ رِجْواً فَقُلْ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ إِنَّهُ كَانَ﴾ (٤).

وقال النبي ﷺ: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر- قالوا يا رسول الله: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء) (٥).

(١) الآية (١٨) من سورة بقره.

(٢) رواه البخاري، كتاب الطهارة والأيمان، باب ما جاء في نراية الحلف بغير الله رقم ١٥٣٥ وحديث أبي حمزة عن أبي حمزة: (من حلف بغير الله فقد أشرك) كتاب الأيمان والعتق، باب في نراية الحلف بالألفاء وحسنه الحاكم وغيره.

(٣) الآية (٢١٦) من سورة النور.

(٤) الآية (٢١٦) من سورة النور، رقم ٢٢٩، والظاهر في الذكر رقم ٢٣٠، والظاهر في شرح الشرح ج ١٦ من ٢١٥، ٢١٦، وقال القاري: إسناده حسن. وقال الهادي: إسناده جيد لأحمد. ورجله وحال الصحيح. وقال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن.

ومنه العمل لأجل الطمع الدنيوي، كمن يحج أو يؤذن أو يؤم الناس لأجل المال، أو يتعلم العلم الشرعي أو يجاهد لأجل المال. قال النبي ﷺ: (تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط)^(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقُلُّ من يتجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص: أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته. وهذه هي الخيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام. كما قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ يَهُدَىٰ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢). وهي ملة إبراهيم عليه السلام التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء^(٣). انتهى.

الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

- ١ - الشرك الأكبر يخرج من الملة، والشرك الأصغر لا يخرج من الملة.
- ٢ - الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، والشرك الأصغر لا يخلد صاحبه فيها إن دخلها.
- ٣ - الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، والشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال وإنما يحبط العمل الذي خالطه الرياء أو كان العمل لأجل الدنيا فقط.
- ٤ - الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر لا يبيحهما.
- ٥ - الشرك الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب، وأما الشرك الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقاً بل صاحبه يُحِبُّ ويؤالَى بقدر ما فيه من الإيمان ويُعَادَى بقدر ما فيه من العصيان. والمقصود بتحريم محبة الكافر هنا المحبة الدينية التي تقتضي المناصرة والمؤازرة فهذه لا تجوز إلا للمسلم، وأما الكافر فيبغض لأجل كفره ولو كان أقرب قريب وأدلة هذا الأصل كثيرة قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيِ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالَ الْقُرْآنُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ يَدْعُواكُم مِّن دُونِ اللَّهِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ وَبَيْنَكُمْ أَمْدُودُ وَالْعَصَىٰ أَلْبَدُ حَتَّىٰ تَقُومُوا لَٰكُمُ الْوَعْدُ﴾^(٤). الآية.

(١) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب الحرام في القربى ج ٣ ص ٢٢٢ وكتاب الرقاق باب ما يقضى من ملة المال ج ٧ ص ١٧٢.

(٢) سورة المائدة - آية: ٤.

(٣) الجواب الكافي ص ١١٥.

(٤) الآية (٨٨) من سورة آل عمران.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا قُلُوبَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّوا مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ
 أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَتَدَّبَهُمْ رُوحٌ مِنْهُ﴾^(١) . وأما المحبة الطبيعية
 كمحبة الزوجة أو الولد أو الأخ إذا كانوا كفاراً غير محاربين فجائزة، فطبيعة العلاقة بينهما علاقة
 بر وتعاون وإحسان ودعوى، ولذلك يجوز الإهداء والتعامل معهم ويحرم التعدي عليهم وظلمهم ، قال
 تعالى : ﴿لَا تَهِنُوا بِاللَّهِ وَالَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِهِمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْغَافِلِينَ
 إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِهِمْ وَلَمْ يَمُوتُوا لَكُمْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢) .
 فالتهني واقع على التولي والمحبة لأجل الدين ، والأمر بالإحسان والبر واقع على الإحسان لأجل القرابة
 أو لأجل الجوار على وجه لا يخل بدين المسلم .

الأسئلة

- س١ : عرف الشرك، ولماذا صار أعظم الذنوب؟
- س٢ : اذكر الدليل على: (أ) أن الله لا يغفر لمن أشرك به . (ب) أن الله حرم الجنة على المشرك وأنه
 مخلد في النار .
 (ج) أن الشرك أكبر الكبائر .
- س٣ : علل لما يأتي: ١- الشرك أظلم الظلم . ٢- الشرك تنقص وعيب نزه الله سبحانه نفسه عنه .
 ٣ - المشرك أجهل الجاهلين بالله .
- س٤ : اذكر أنواع الشرك مع الاستدلال على ذلك .
- س٥ : ضع علامة (✓) أو علامة (x) أمام العبارات التالية:
 ١ - الشرك الأكبر يخرج صاحبه من الملة ولا يخلده في النار .
 ٢ - رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أصغر .
 ٣ - الحلف بغير الله شرك خفي .
 ٤ - ليس الحلقة والحيط واعتقاد أن هذه أسباب لرفع البلاء شرك أصغر .
 ٥ - من يحسن صلاته ويتصدق من أجل أن يمدحه الناس ويشتوا عليه شرك خفي .
- س٦ : اذكر الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر .

(١) سورة الحديد - آية : ٢٢ . (٢) سورة الممتحنة - آية : ٨-٩ .

نقض شبهات المشركين التي يتعلقون بها في تبرير شركهم

الفصل

الثالث

يستند كثير من الناس في تبرير ضلالتهم وشركهم إلى شبه وحكايات باطلة نذكر أهمها فيما يلي ليكون المسلم على بصيرة في دينه ويزداد يقيناً بضلال المشركين.

أولاً: شبهة الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد، وأنهم ورثوا هذه العقيدة خلفاً عن سلف كما قال تعالى عنهم: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ مِثْلِ هَذِهِ فَلْيَسُوا عَلَىٰ إِمَامِهِمْ فَمَقَّدُونَ﴾^(١). وهذه حجة باطلة؛ فإن هؤلاء الآباء الذين قلدهم ليسوا على هدى، ومن كان كذلك لا تجوز متابعتة والافتداء به. قال تعالى رداً عليهم: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَحْكُمُونَ﴾^(٢). وإنما يكون الاقتداء بالآباء محموداً إذا كانوا على حق كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّخَذْتُ يَدِي وَأَمَّا مِنَ الَّذِينَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٤).

ثانياً: ومن الشبه التي تعلقوا بها قولهم: نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله؛ لأنهم أهل صلاح ومكانة عند الله فنحن نريد من الله جاههم وشفاعتهم.

ويجيب عن هذه الشبهة بأن هذا هو ما قاله المشركون من قبل في تبرير ما هم عليه، وقد كفرهم الله وسماهم مشركين كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَسْتَبْسِتُونَ اللَّهُ بِمَا لَا تَعْلَمُونَ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَعَمَّا يُبْشِرُكُمْ﴾^(٥). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ وَالْقَرَىٰ إِنَّ اللَّهَ بَيْنَهُمْ فِي مَآثِهِمْ خَافِئُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾^(٦). والشفاعة حق، ولكنها ملك لله وحده كما قال تعالى: ﴿قُلْ قَدْ أَرْسَلْنَا رُوحَنَا فِي تَبَارُكِ الْكَافُرِ﴾^(٧). فهي تطلب من الله لا من الأموات، لأن الله لم يرخص في طلب الشفاعة من الملائكة ولا من الأنبياء ولا غيرهم لأنها ملكه سبحانه وتطلب منه ليأذن للشافع أن يشفع. وليس الأمر كما هو عند المخلوقين من تقديم الشفعاء لديهم بدون إذنتهم ويضطرون إلى قبول الشفاعة لحاجتهم إليهم وإن لم يرضوا عن المشفوع فيه؛ لأنهم يحتاجون إلى الأعوان والوزراء، أما الله سبحانه فلا

(٢) الآية (٢٨) من سورة يونس.

(٣) الآية (٢٩) من سورة الزمر.

(٤) الآية (١٠١) من سورة المائدة.

(٥) الآية (١٨) من سورة يونس.

(٦) الآية (١٣) من سورة الزخرف.

(٧) الآية (٢١) من سورة الطور.

(٨) الآية (٢٢) من سورة الزمر.

يشفع أحد إلا بإذنه ورضاه عن المشفوع فيه، قال تعالى:

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا يَقْبِضُ شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يُأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ يُفْرِغُ﴾ (١١)

ثالثاً: ومن الشبه التي يحتج بها المشركون ظنهم أن مجرد النطق بـ «لا إله إلا الله» يكفي لدخول الجنة ولو فعل الإنسان ما فعل فإنه لا يكفر وهو يقول: «لا إله إلا الله» متمسكين بظواهر الأحاديث التي ورد فيها أن من نطق بالشهادتين حرم على النار.

والجواب: أن الأحاديث ليست على إطلاقها وإنما هي مقبذة بأحاديث أخرى جاء فيها أنه لا بد لمن قال: «لا إله إلا الله» أن يعتقد معناها بقلبه ويعمل بمقتضاها فيكفر بما يعبد من دون الله، كما في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» (١٢). وإلا فالمنافقون يقولون: «لا إله إلا الله» بالسنتهم وهم في الدرك الأسفل من النار ولم ينفعهم النطق بـ «لا إله إلا الله»؛ لأنهم لا يعتقدون ما دلت عليه بقلوبهم، وفي حديث طارق بن أشيم: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله» (١٣) فعلق النبي ﷺ حرمة المال والدم على أمرين: الأول: قول لا إله إلا الله. والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله ولم يكتف بمجرد النطق بـ «لا إله إلا الله» فدل على أن الذي يقول لا إله إلا الله ولا يترك عبادة الموتى والتعلق بالأضرحة لا يحرم ماله ولا دمه.

رابعاً: ومن الشبه التي يتعلقون بها: دعواهم أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك وهم يقولون «لا إله إلا الله محمد رسول الله». وأن ما يفعلونه عند الأضرحة من عبادة الموتى ودعائهم من دون الله لا يسمى شركاً عندهم.

والجواب عن هذا: أن النبي ﷺ أخبر أنه سيكون في هذه الأمة مشابهة لليهود والنصارى فيما هم عليه. ومن ذلك اتخاذهم أحبارهم وورهبانهم أرباباً من دون الله، وأخبر ﷺ أنها لا تقوم الساعة حتى يلحق حيي من أمته بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمته الأوثان، وقد حدث في هذه الأمة من الشرك والمبادئ الهدامة والنحل الضالة ما خرج به كثير من الناس عن دين الإسلام وهم يقولون «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

(١١) الآية (١٦٦) من سورة النجم

(١٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب الساجد في القبوت الم ١١٠.

(١٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ من ٥٢ حديث رقم ٣٧.

خاصاً: ومن الشبه قولهم: إن الأولياء والصالحين لهم مكانة عند الله ونحن نسأل الله بجاههم ومكانتهم.

والجواب: أن المؤمنين كلهم أولياء الله، ولكن الجزم لشخص معين أنه ولي الله يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنة، ومن ثبت ولايته لم ينجز لنا الغلو فيه والتبرك به؛ لأن ذلك من وسائل الشرك والله أمرنا بدعائه مباشرة دون اتخاذ وسائط بيننا وبينه، ولأن هذا هو التعليل الذي علل به المشركون من قبل: أنهم اتخذوا هؤلاء شفعاء ووسائط بينهم وبين الله، يسألون الله بجاههم وقربهم فأنكر الله عليهم ذلك.

الأسئلة

س١: كيف نجيب عن شبهة من يقول: إني مسلم أقول: لا إله إلا الله وذلك كاف في دخولي الجنة ولو فعلت ما فعلت؟ مع ذكر الدليل.

س٢: متى يكون الاقتداء بالآباء محموداً؟ مع الدليل.

س٣: كيف ترد على شبهة من يقول: لا يقع في الأمة المحمدية شرك؟

س٤: كيف ترد على شبهة من يقول: نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله؟ مع ذكر الأدلة.

النوع الثاني: كفر أصغر لا يخرج من الملة، مثل الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفراً وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، مثل كفر النعمة المذكور في قوله تعالى:

﴿ وَحَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قُرَيْبَةً كَانَتْ آيَةً مُمِطِينَ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾^(١).

ومثل الحلف بغير الله قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»^(٢).

ومثل قتال المسلم المذكور في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (سِيَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)^(٣).

وفي حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ في حجة الوداع: (استنصت الناس) ثم قال: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)^(٤).

وقد جعل الله مرتكب الكبيرة مؤمناً كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾^(٥).

فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا وجعله أخاً لولي القصاص فقال: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ﴾^(٦). والمراد أخوة الدين بلا رب، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فَاخْتَلَفَا فَمَا صَلِّحُوا بَيْنَهُمَا ﴾. إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾^(٧)، (٨).

وأما الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر فيقال فيه مثل ما قيل في الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

(١) الآية (١٣٢) من سورة النحل.

(٢) تقدم ترجمته ص ١٤.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأيمان، باب عرفت المؤمن من أن يخطئ عمداً وهو لا يشعر ج ١ ص ١٧-١٨، ومسلم، كتاب الأيمان، باب من كان قول شيء - - - سياب المسلم فسوق وقتاله كفر حديث ٦١ من ٨٦ وفي مواضع أخرى لمحمد.

(٤) رواه البخاري، كتاب العلم، باب الإحصاء للعلماء ج ١ ص ٢٨، ومواضع أخرى فيه - - - ومسلم، كتاب الأيمان، باب من كان معنى قول النبي - - - لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض حديث ٦٦ ص ٨١-٨٢.

(٥) الآية (١٧٨) من سورة الفرق.

(٦) الآية (١٧٨) من سورة الفرق.

(٧) الآية (٩٠-٩١) من سورة الاحزاب. (٨) شرح الطحاوية صفحة (٣١١) ط الكتب الإسلامي.

الأسئلة

س١ : عرف الكفر لغة وشرعاً.

س٢ : اذكر الأدلة على ما يأتي :

(أ) كفر الظن.

(ب) كفر التكذيب.

(ج) كفر الإباء والاستكبار مع التصديق.

(د) كفر الإعراض.

(هـ) كفر النفاق.

س٣ : بين الكفر المخرج من الملة في النصوص التالية :

(أ) قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُتُوا مُعْضُوتُونَ ﴾ .

(ب) قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾ .

(ج) قال ﷺ : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) .

(د) قال ﷺ : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) .

تعريفه :



النفاق لغة مصدر؛ نافر، يقال: نافر ينافق نفاقاً ومتافقة وهو مأخوذ من النافقاء: أحد مخارج اليربوع من جحره فإنه إذا طُلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه، وقيل: هو من النَفَق وهو السَّرَب يستتر فيه^(١).

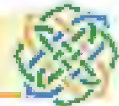
وأما النفاق في الشرع فمعناه: إظهار الإسلام والخير وإبطان الكفر والشر، سمي المنافق بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب ويخرج منه من باب آخر. وعلى ذلك نبّه الله تعالى بقوله:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢) أي الخارجون من الشرع.

وجعل الله المنافقين شرّاً من الكافرين فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذِّكْرِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^(٥).

أنواعه :



النفاق نوعان :

النوع الأول: النفاق الاعتقادي وهو النفاق الأكبر الذي يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر. وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية وصاحبه في الذِّكْرِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

صفات أهله والتحذير منهم: وقد وصف الله أهله بصفات الشر كلها من الكفر وعدم الإيمان والاستهزاء بالدين وأهله والسخرية منهم والميل بالكلية إلى أعداء الدين لمشاركتهم لهم في عداوة الإسلام، وهؤلاء موجودون في كل زمان ولا سيما عندما تظهر قوة الإسلام ولا يستطيعون مقاومته في الظاهر فإنهم يظهرون الدخول فيه لأجل الكيد له ولأهله في الباطن، ولأجل أن يعيشوا مع المسلمين ويأمنوا على دمايتهم وأموالهم، فيظهر المنافق إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن متسلخ من ذلك كله مكذب به، لا يؤمن بالله، ولا أن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولاً للناس يهديهم بإذنه وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه.

(١) الآية (١٧٧) من سورة التوبة.

(٢) نهاية الأمر (٩٨/٢) معناه.

(٣) الآية (١١٩) من سورة النساء.

(٤) الآية (١١٩) من سورة النساء.

(٥) الآية (١١٠) من سورة البقرة.

وقد هنك الله أستار هؤلاء المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن الكريم وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاث في أول البقرة، المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية، لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله. فإن بلية الإسلام بهم شديدة جداً، لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح وهو غاية الجهل والإفساد^(١).

من أنواع النفاق الاعتقادي^(٢):



- ١ - تكذيب الرسول ﷺ.
- ٢ - تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.
- ٣ - بغض الرسول ﷺ.
- ٤ - بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.
- ٥ - المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.
- ٦ - الكراهية لانتشار دين الرسول ﷺ.

النوع الثاني: النفاق العملي وهو النفاق الأصغر وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب. وهذا لا يخرج من الملة - لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق وإذا كثر صار بسببه منافقاً خالصاً والدليل عليه قوله - ﷺ -: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)^(٣) فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع فقد اجتمع فيه الشر وخلصت فيه نعوت المنافقين، ومن كانت فيه واحدة منها صار فيه خصلة من النفاق، فإنه قد يجتمع في العبد خصال خير وخصال شر وخصال إيمان وخصال كفر ونفاق.

ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك، ومنه التكاسل عن الصلاة مع الجماعة في المسجد خاصة صلاة العشاء والفجر فإنه من صفات المنافقين، فالنفاق شر وخطير جداً وكان الصحابة يتخوفون الوقوع فيه، قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله - ﷺ - كلهم يخاف النفاق على نفسه.

الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر:

- ١ - أن النفاق الأكبر يخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار، والنفاق الأصغر لا يخرج من الملة ولا يخلد صاحبه في النار.
- ٢ - أن النفاق الأكبر اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، والنفاق الأصغر اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الثالثة، ص ٢٨٩.

(٢) الفقه الإسلامي، ج ٢، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة النفاق، ج ١، ص ١٤، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصائص النفاق حديث رقم ٥٨، ص ٧٨.

٣ - أن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من مؤمن.

٤ - أن النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه ولو تاب فقد اختلف في قبول توبته عند الحاكم، بخلاف النفاق الأصغر فإن صاحبه يتوب إلى الله في الغالب فيتوب الله عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكثيراً ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه، قد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه).

والمؤمن يتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره كما قال الصحابة: يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخسر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به فقال: (ذلك صريح الإيمان) وفي رواية: ما يتعاطى أن يتكلم به. قال: (الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة)^(١) أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة ودفعه عن القلب هو من صريح الإيمان - انتهى^(٢).

وأما أهل النفاق الأكبر فقد قال الله فيهم: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٣) أي إلى الإسلام في الباطن وقال تعالى فيهم:

﴿أُولَئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يَفْقَهُونَ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ مَّوْعِظَةً وَلَئِنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ يُدْخَرُونَ﴾^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر لكون ذلك لا يعلم إذ هم دائماً يظهرون الإسلام)^(٥).

(١) الحديث في مسلم عن أبي هريرة (١١١١) قال جاء رجل من أصحاب النبي (ﷺ) فقال: إذا وجدت في نفسي ما يتعاطى أحدنا أن يتكلم به، قال: فوجده وجدواها فقلها بغيره. قال: قلت: يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخسر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به فقال: (الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة). قال: يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخسر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به فقال: (الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة).

(٢) انظر كتاب الإيمان صفحة ٢٣٨.

(٣) الآية (١١٨) من سورة البقرة.

(٤) انظر كتاب الإيمان صفحة ٢٣٨.

(٥) انظر مجموع الفتاوى (٢٨/١٤٣-١٤٣٥).

الأسئلة

- س١ : عرف النفاق لغة وشرعاً.
- س٢ : ما أنواع النفاق؟ وأي الأنواع المخرج من الملة؟
- س٣ : أيهما أشد خطراً على الدين الكفار أم المنافقون؟ ولماذا؟
- س٤ : بيّن النفاق الاعتقادي والعملي في الصور التالية:
- (أ) تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.
- (ب) التكاثر عن الصلاة مع الجماعة في المسجد.
- (ج) الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.
- (د) الكذب في الحديث.
- (هـ) الفجور في الخاصة.
- (و) المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.
- س٥ : اذكر الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر.

(١) تعريفها:



نسبة إلى الجاهل الذي هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً، فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق فهو جاهل أيضاً.

والمراد بها عند الإطلاق هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسوله وشرايع الدين والمقاهرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك^(١) فقد كان الناس قبل بعث الرسول ﷺ في جاهلية تنسوبة إلى الجهل. فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل، وإنما يفعله جاهل.

أقسام الجاهلية:



تنقسم الجاهلية إلى قسمين:

(أ) الجاهلية المطلقة: وهي ما كان قبل بعث الرسول ﷺ وقد انتهت ببعته، ويدخل فيها كل ما يخالف ما جاء به المرسلون من يهودية ونصرانية، ولهذا لا يطلق على زمان بعد بعث محمد ﷺ أنه جاهلية.

(ب) الجاهلية المقيدة: وهي مقيدة ببعض البلدان وبعض الأشخاص وبعض الدول وهذه لا تزال باقية فتكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفر، وقد تكون في شخص دون شخص، كالرجل قبل أن يسلم فإنه في جاهلية وإن كان في دار الإسلام. والجاهلية المقيدة قد توجد في بعض ديار المسلمين وفي كثير من الأشخاص المسلمين كما قال ﷺ: (أربع في أمي من أمر الجاهلية)^(٢) وقال لأبي ذر: (إنك امرؤ فيك جاهلية)^(٣) ونحو ذلك^(٤).

وأما التعميم فلا يصح ولا يجوز؛ لأنه يبعث النسبي ﷺ زالت الجاهلية العامة فقد استفاضت الأدلة أنه لا تزال من هذه الأمة طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة.

(١) رواه مسلم كتاب الجهاد باب الشهاد في الشاعة حديث رقم ٩٢٤ عن أبي مالك الأشعري.

(٢) نهاية لاري الأثر (١/ ٢٢٣).

(٣) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: (إنك امرؤ فيك جاهلية ولا يملك صاحبها ولا يملكها إلا بالشرة) رواه مسلم كتاب الإيمان باب إيمان المشرك إذا باطل وإن آمنه لا يملك ولا يملكه ما بعثه حديث رقم ١١١١ من ١١٤٢.

(٤) الحديث المبررات المستقيم (١/ ٢٢٥-٢٢٦) لطيف المصطفى داهية العقل.

وبهذا يتضح خطأ من يعممون الجاهلية في هذا الزمان فيقولون: جاهلية هذا القرن وما شابه ذلك، والصواب أن يقال جاهلية بعض أهل هذا القرن أو غالب أهل هذا القرن.

الأسئلة

س ١: عرف الجاهلية، وما المراد بها عند الإطلاق؟

س ٢: ما أقسام الجاهلية؟

س ٣: هل يجوز تعميم الجاهلية؟ ولماذا؟

س ٤: ما رأيك في استخدام عبارة جاهلية القرن العشرين؟

تعريفه:

الفسق لغة: الخروج .

والمراد به شرعاً: الخروج عن طاعة الله . وهو يشمل الخروج الكلي فيقال للكافر فاسقاً ، والخروج الجزئي فيقال للمؤمن المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب فاسق .

أنواعه:

الفسق نوعان :

١ - فسق ينقل عن الملة: وهو الكفر ، فيسمى الكافر فاسقاً ، فقد ذكر الله إبليس فقال:

﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ ^(١) وكان ذلك الفسق منه كفراً . وقال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ﴾ ^(٢)

يريد الكفار ، دل على ذلك قوله:

﴿ كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا أُمِّيَّةً وَفِيهَا قُضِيَ لَهُمْ ذُنُوبُهُمْ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهَا لَئِنْ كَذَبْتُمْ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمَلَكُوتِ ﴾ ^(٣)

٢ - فسق لا يخرج من الملة: وهو المعصية ، فيسمى المعاصي من المسلمين فاسقاً ولم يخرجهم فسقه من

الإسلام قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُخَلَّفِينَ بِمَنَافِعِ الْمُنَافِقِينَ يُنَادُوا بِزِعْمِهِمْ هَذِهِ قُلُوبُهُمْ وَأَلْفَافٌ أَفْعَالُكُمْ وَأَلْفَافٌ أَفْعَالُكُمْ ﴾

أبناء وأولئك هم المنافقون ^(٤) . وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ فَرَحَ فِيهِمْ فَارِحْ وَلَا تُمْسِكْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْنَا أَنْ نَبْدِلَ أَفْعَالَهُمْ ﴾ ^(٥)

قال العلماء في تفسير الفسوق هنا: هو المعاصي ^(٦) .

الأسئلة

س١: عرف الفسق لغة وشرعاً.

س٢: ما أنواع الفسق، مع الاستدلال على ذلك؟

(١) الآية (١٠٠) من سورة الكهف .

(٢) الآية (١٠٠) من سورة الكهف .

(٣) الآية (١٠٠) من سورة الكهف .

(٤) الآية (١٠٠) من سورة الكهف .

(٥) الآية (١٠٠) من سورة الكهف .

(٦) انظر كتاب الإيمان للشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٧٨

الضلال يطلق على عدة معاني :

- ## الرسالة

7

تعريفها:

الردة لغتها الرجوع قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾^(١) أي لا ترجعوا.
والردة في الاصطلاح الشرعي: هي الكفر بعد الإسلام - قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ
وَيْبِهِ، فَسُتٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَإِنَّ أَوْلَىٰكَ خِطَابُ أَحْمَدَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢).

أنواعها:

- ١- الردة بالقول: كتب الله تعالى أو رسوله ﷺ أو ملائكته أو أحد من رسله، أو ادعاء علم الغيب أو ادعاء النبوة أو تصديق من يدعيها، أو دعاء غير الله أو الاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله أو الاستعاذة به في ذلك.
- ٢- الردة بالفعل: كالسجود للصنم والشجر والحجر والقبور والذبح لها، وإلقاء المصحف في المواتن الفلذة وعمل السحر وتعلمه وتعليمه، والحكم بغير ما أنزل الله معتقداً حله.
- ٣- الردة بالاعتقاد: كاعتقاد الشريك لله، أو أن الزنا والخمر والربا حلال، أو أن الخبز حرام أو أن الصلاة غير واجبة أو جواز الحكم بغير ما أنزل الله ونحو ذلك مما أجمع على حله أو حرمة أو وجوبه إجماعاً قطعياً ومثله لا يحمله.
- ٤- الردة بالشك في شيء مما سبق كمن شك في تحريم الشرك أو تحريم الزنا والخمر، أو في حل الخبز أو شك في رسالة النبي ﷺ أو رسالة غيره من الأنبياء أو في صدقه أو في دين الإسلام أو في صلاحيته لهذا الزمان.

أحكام الردّة:

يترتب على الردّة بعد ثبوتها أحكام هي:

- ١- استتابه المرتد: لأن تاب ورجع إلى الإسلام في خلال ثلاثة أيام قبل منه ذلك وترك.

(١) الآية (٢١٧) من سورة البقرة.

(٢) الآية (٢١٧) من سورة البقرة.

٢ - إذا لم يأت بغيره وجب قتله، لقوله ﷺ: (من بَدَّل دينه فاقتلوه)^(١)

٣ - يمنع من التصرف في ماله مدة استنابته فإن أسلم فهو له، وإلا صار شيئاً لبيت المال من حين قتله أو موته على الردة، وقيل من حين ارتداده بصرف في مصالح المسلمين.

٤ - يفرق بينه وبين زوجته المسلمة فإنها لا تحل له.

٥ - انقطاع التوارث بينه وبين أقاربه فلا يرثهم ولا يرثونه.

٦ - إذا مات أو قتل على رده فإنه لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وإنما يدفن في مقابر الكفار أو يوارى في التراب في أي مكان غير مقابر المسلمين.

التكفير:

التكفير هو الحكم على شخص بأنه كافر.

أحوال الناس في الحكم عليهم: الإنسان، إما أن يكون كافراً أصلياً كاليهود والنصارى والمجوس وتكفير هؤلاء واجب بل إن من لم يكفرهم أو شك في كفرهم فهو كافر، وإما أن يكون مسلماً فهذا لا يجوز تكفيره إلا إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع.

خطورة تكفير المسلم: تكفير المسلم أمر عظيم وخطير لا يجوز الإقدام عليه إلا إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع قال تعالى: ﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا مَرَّ مَعَهُمْ سَبِيلَ اللَّهِ فَيَقُولُوا لَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْغُوثٌ مِمَّا رَكَّبَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٢).

وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»^(٣) وعن أسامة بن زيد قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحسرات من جهة فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله فطعته، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أقال لا إله إلا الله وقتلته، فقال قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى نعلم

(١) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب لا يبدل بغيره. (٢) (٢٧-٣٠)، وكتاب استنباط المبادئ باب حكم المائدة والمائدة واستنابهم برقم (١٩٧٢).

(٣) سورة النساء آية ٩٤.

(٤) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب لا يبدل بغيره. (٥) (١١-١٢)، وكتاب استنباط المبادئ باب حكم المائدة والمائدة واستنابهم برقم (١٩٧٢).

أقوالها أم لا؟ فما زال يكررها عليّ حتى غميت أني أسلمت يومئذ^(١١)، فاجرى بني أمرهم في هذه الدنيا على الظاهر وهو ما أقروا به من الإسلام، وهذا هو الأصل بقاء المسلم على إسلامه حتى يأتي ما ينقله عنه يبرهان صحيح، وقد ورد في السنة التشديد في تكفير المسلم لأخيه المسلم قال عليه السلام: (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما)^(١٢).

التكفير حق لله: فلا نكفر إلا من كفره الله ورسوله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلماذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الزنا والكذب حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله فلا نكفر إلا من كفره الله ورسوله»^(١٣).

أنواع التكفير:

للتكفير أنواع ثلاثة: تكفير بالعموم، وتكفير بأوصاف، وتكفير أشخاص وسنعرض لهذه الأنواع بالتفصيل التالي:

(أ) التكفير بالعموم: ومعناه تكفير الناس كلهم عالمهم وجاهلهم من قامت عليه الحجة ومن لم تقم، وهذه طريقة أهل البدع وقد برأ الله أهل السنة منها^(١٤).

(ب) تكفير أوصاف: وهذا كقول أهل العلم في كتب العقائد في باب الردة من كتب الفقه: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتركهم ويسألهم كفرة، ومن سب الله أو رسوله عليه السلام كفرة، ومن كذب بالبعث كفرة.

وإطلاق أهل العلم هذا يقصدون به أن هذا الفعل كفر يخرج من الإسلام أما صاحبه فلا يكفرونه حتى تتوفر الشروط وتتفي الموانع، فليس من لازم كون الفعل كفراً أن يكون فاعله كافراً.

(ج) تكفير أشخاص (تكفير المعين): والمقصود به الحكم على الشخص الذي وقع في أمر يخرج من الملة بالكفر. ومذهب أهل السنة والجماعة في ذلك وسط بين من يقول: لا تكفر أحداً من المسلمين ولو ارتكب ما ارتكب من نواقض الإسلام.. وبين من يكفر المسلم بكل ذنب دون النظر إلى أن هذا الذنب مما يكفر به

(١١) رواه البخاري في كتاب العقائد، باب قول الله تعالى: «وإذ أقروا بأنهم مسلمون» قال أبو بكر بن محمد بن عمرو بن نسيه: «هذا حديث صحيح» (١/١٠٩) ج ١ ص ١٠٩، ورواه غيره من الحديث في مصنف الفراهي ٢٨١/٢.

(١٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من كفر أخاه غير شريك فيه، قال أبو بكر بن محمد بن عمرو بن نسيه: «هذا حديث صحيح» (١/١٠٩) ج ١ ص ١٠٩، ورواه غيره من الحديث في مصنف الفراهي ٢٨١/٢. وقال أبو بكر بن محمد بن عمرو بن نسيه: «هذا حديث صحيح» (١/١٠٩) ج ١ ص ١٠٩، ورواه غيره من الحديث في مصنف الفراهي ٢٨١/٢. وقال أبو بكر بن محمد بن عمرو بن نسيه: «هذا حديث صحيح» (١/١٠٩) ج ١ ص ١٠٩، ورواه غيره من الحديث في مصنف الفراهي ٢٨١/٢.

(١٣) إرواه على التكرار من ٢٥٨-٢٥٩، ورواه الفراهي في كتاب الأدب، باب من كفر أخاه غير شريك فيه، قال أبو بكر بن محمد بن عمرو بن نسيه: «هذا حديث صحيح» (١/١٠٩) ج ١ ص ١٠٩، ورواه غيره من الحديث في مصنف الفراهي ٢٨١/٢.

(١٤) انظر في هذا القول مجموعة المؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٥٨/١٢، ومنهاج الحق والاتباع لسليمان بن محمد من ٤٨.

فاعله أم لا ودون النظر إلى توفر شروط التكفير وانتفاء موانعه .

شروط التكفير:

يشترط للتكفير شرطان:

أحدهما : أن يقوم الدليل على أن هذا الشيء مما يكفر به فاعله .

الثاني : انطباق الحكم على من فعل ذلك بحيث يكون علماً بذلك قاصداً له مختاراً ، فإن كان جاهلاً أو متأولاً أو مخطئاً أو مكرهاً^(١) فقد قام به مانع من موانع التكفير فلا يكفر على حسب التفصيل الآتي في موانع التكفير .

موانع التكفير:

- (١) الجهل: والجهل يكون مانعاً من موانع التكفير في حالات دون حالات وإليك تفصيل ذلك فيما يأتي:
 - ١ - من كان حديث عهد بالإسلام أو من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان فأنكر شيئاً مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالصلاة أو تحريم شرب الخمر^(٢) وكذا من نشأ في بلاد يكثر فيها الشرك ولا يوجد من ينكر عليهم ما يقعون فيه من الشرك فلا يكفرون إلا بعد أن تقوم عليهم الحجة قال شيخ الإسلام ابن تيمية: بعد أن ذكر بعض أنواع الشرك (...) وإن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه^(٣) وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب (...) وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبيههم^(٤).
 - ٢ - من أنكر الأمور المعلومة من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة وتحريم شرب الخمر مع كونه في دار إسلام وعلم، ولم يكن حديث عهد بإسلام فإنه يكفر بمجرد ذلك^(٥).
 - ٣ - هناك أحكام ظاهرة متواترة مجمعة عليها ومسائل خفية غير ظاهرة لا تعرف إلا من طريق الخاصة من أهل العلم كإرث بنت الابن السدس مع بنت وارثة النصف تكملة للثلاثين.

(١) انظر مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين ١٦/٣-١٧- الطبعة الأولى .

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠٧/١٦ و ١٠٧/١٧ و ١٦٩ و ١٦٥/٣٥٥ . (٣) الرد على البكري ص ٢٧٦ .

(٤) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١١ ضمن مؤلفات الشيخ القسم الثالث .

(٥) نوافل الإيمان للاختصاصية ٢١٢/١ .

فمن أنكر شيئاً من هذه الأحكام من العامة فلا يكفر إلا بعد أن تبين له ثم يصر على إنكاره، أما من أنكرها من أهل العلم فيكفر إذا كان مثله لا يجهلها^(١).

(ب) الخطأ: بأن يعمل عملاً أو يعتقد اعتقاداً يكون مخالفاً للإسلام كمن حكم بغير ما أنزل الله مخطئاً وهو يريد أن يحكم بما أنزل الله أو فعل شيئاً من الشرك يظنه جائزاً أو أنكر شيئاً من الدين ظاناً أنه ليس منه والدليل قوله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة)^(٣).

(ج) التأويل: وهو صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى ما يخالفه للدليل متفصل، وهو قسمان: القسم الأول: قم يعذر صاحبه بتأويله، وهو ما كان مبنياً على شبهة، بأن كان له وجه من لغة العرب، وخلصت نية صاحبه كمن تأول في صفات الله تعالى. وكان تأويله مبنياً على شبهة وخلصت نية صاحبه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن سبب عدم تكفير الإمام أحمد وغيره لمن قال يخلق القرآن بعينه: (إن التكفير له شروط وموانع وقد تنفسي في حق المعين وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه)^(٤).

وقال في موضع آخر عن نفس المسألة: (فالإمام أحمد رحمه الله ترحم عليهم واستغفر لهم لعلمه بأنه لم يبين لهم أنهم مكذبون للرسول ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطؤوا وقلدوا فمن قال ذلك لهم)^(٥).

والقسم الثاني: تأويل لا يعذر أصحابه كتأويلات الباطنية والفلاسفة ونحوهم من حقيقة أمرهم تكذيب للدين جملة وتفصيلاً أو تكذيب لأصل لا يقوم الدين إلا به كتأويل الفرائض والأحكام بما يخرجها عن حقيقتها وظاهرها. فهذا كفر مخرج عن الإسلام.

(د) الإكراه: من أنكره على الكفر بأن ضرب وعذب، بأن يرصد عن دينه أو يسب الإسلام. أو هدد

(١) انظر تراجم الأئمة الأربعة ١/ ٢١١-٢١٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب الاستسكان، باب من أنكر ما أنزل الله، باب إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب أو أخطأ ٢/ ١٣٢.

١٧١٦هـ

(٣) مجموع الفتاوى ١٢/ ١٦٦ و انظر ١٨٠/ ٥٢٣-٥٢٤. (٤) انظر مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ١١/ ٤٨٧-٤٨٩. (٥) المسائل للرهينة ص ١٢٥.

بالقتل والمهدة قادر على فعل ما هدد به، فكفر ظاهراً مع اطمئنان قلبه بالإيمان فهذا معذور ولا يكفر بفعله ذلك، قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَكْثَرِ قَلْبِهِ فَظُلْمَةٌ تَعْلِيهِ لَا يَأْتِيَنَّ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ سَدْرًا فَغُلِبَتْ هَوَاهُ قُلْ أَتَقُولُونَ عَدُوًّا عَدِيًّا﴾ (١).

كيفية إقامة الحجة :



لا يحكم على معين بالكفر إلا بعد إقامة الحجة عليه وإصراره على الكفر الذي وقع منه، وإقامة الحجة يختلف من بلد إلى آخر ومن زمان إلى آخر ومن شخص إلى آخر ومن كونه كلاماً نظرياً إلى تطبيق على شخص معين ويتلخص ذلك: ببلوغ الحجة للمعين وثبوتها، وتمكنه من معرفتها وكل ذلك لا يتم إلا بوجود من يحسن إقامة الحجة (٢). قال شيخ الإسلام ابن تيمية (....) وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها: قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون عرضت له شبهات يعذر الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان (٣). وقال الشيخ سليمان بن سحمان: (الذي يظهر لي والله أعلم أنها لا تقوم الحجة إلا بمن يحسن إقامتها وأما من لا يحسن إقامتها كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه ولا ما ذكره العلماء في ذلك، فإنه لا تقوم به الحجة) (٤) (٥).

الأسئلة

- س١: عرف الردة في اللغة والاصطلاح.
- س٢: بين أنواع الردة في الصور التالية:
 - (أ) ادعاء علم الغيب.
 - (ب) سب الله ورسوله والملائكة.
 - (ج) إلقاء المصحف في المواطن المقدسة.
 - (د) اعتقاد أن الربا حلال.
 - (هـ) السجود للصنم.
 - (و) تعلم السحر.
 - (ز) الشك في رسالة النبي ﷺ.
- س٣: اذكر أحكام الردة التي تترتب عليها بعد ثبوتها.
- س٤: عرف التكفير، وما أحوال الناس في الحكم عليهم؟
- س٥: ما خطورة تكفير المسلم؟
- س٦: ما أنواع التكفير؟ وما شروطه؟
- س٧: اذكر موانع التكفير، وما كيفية إقامة الحجة على المعين؟

(١) سورة النور آ١٠٠. (٢) انظر ملخص الفتاوى المجلد ١٠ ص ٢٣٠.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٤٦/٢٣ ومثله ٩٣٦/٣ و ٥٩٩/٢. (٤) منهاج الحق والاتباع ص ٢٩.

(٥) انظر خصوصاً آخر الفتاوى في كتاب نوازل الإيمان الاعتقاد ٢٤٣/١، ٢٧٨-٢٨٢.

الباب الثاني

أقوال وأفعال تنافي التوحيد أو تنقصه

ويتضمن الفصول التالية :

الفصل الأول	: شرك الخوف .
الفصل الثاني	: شرك المحبة .
الفصل الثالث	: شرك التوكل .
الفصل الرابع	: ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفنجان وغيرهما .
الفصل الخامس	: الاستسقاء بالأنواء .
الفصل السادس	: نسبة النعم إلى غير الله .
الفصل السابع	: السحر والكهانة والعرافة .
الفصل الثامن	: الرقى والتمايم .
الفصل التاسع	: الطيرة .
الفصل العاشر	: تقديم القرابين والتذوق والهدايا للمزارات والقبور .
الفصل الحادي عشر	: تعظيم التماثيل والتعصب التذكارية .
الفصل الثاني عشر	: الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته .
الفصل الثالث عشر	: ادعاء حق التشريع والتحليل والتحريم .
الفصل الرابع عشر	: الحكم بغير ما أنزل الله .
الفصل الخامس عشر	: الانتماء إلى المذاهب الإلحادية والأحزاب الجاهلية .
الفصل السادس عشر	: النظرة المادية للحياة .
الفصل السابع عشر	: الخلف بغير الله والتوسل والاستعانة بالمخلوق .
الفصل الثامن عشر	: سوء الظن بالله .
الفصل التاسع عشر	: سب الدهر والريح .
الفصل العشرون	: قول (لو) في بعض الحالات .

الخوف ثلاثة أقسام :

١٠- أن يخاف من شيء لا يؤثر عليه، ويحمله هذا الخوف على ترك واجب أو فعل محرم فهذا الخوف محرم، والواجب عليه أن لا يتأثر به. مثل ما لو هدده إنسان على فعل محرم فخافه، وهو لا يستطيع أن يتخذ ما هدده به، فهذا خوف محرم لأنه يؤدي إلى فعل محرم بلا عذر.

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ أَرْضِهِمْ فَمِنْ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَمْ يَمَسَّهِنَّ سَوَاءٌ فَأَنَّىٰ كُفِرُوا وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّمَا يَدْرِكُهُمُ الشَّقِيظُ الْخَبِيرُ ﴿٣٨﴾ فَلَا تَحْزَنُوا لَهُمْ وَلَا تُعْرِضُوا عَنْهُمْ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾

ومعنى قول تعالى: ﴿يَخَافُ أُولَآئِكَ﴾ أي: يخوفكم أوليائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مِّن مِّنِّي﴾ هذا لئلا يهين من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره، وأمر لهم أن يقصروا خوفهم على الله تعالى، فلا يخافون غيره. وهذا هو الإخلاص الذي أمر الله به عباده، ورضيه منهم.

قال العلامة ابن القيم: ومن كيد عدو الله أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه لئلا يجاهدوهم. ولا يأمروهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافه.

المجلة ١١ لسنة ١٤٢١ هـ

قال: والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه. قال قتادة: يعظمهم في صدوركم. فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم، فدلّت هذه الآية على أن إخلاص الخوف من شروط كمال الإيمان^(١).

٣- الخوف الطبيعي: وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك، فهذا في الأصل مباح؛ لقوله تعالى عن موسى: ﴿خُذْ مِنْهَا حَافِئًا يَرَفِّقَ﴾^(٢).

وهذا النوع لا ينافي الإيمان، وإذا كان خوفاً محققاً قد انعقدت أسبابه فليس بمذموم. أما إذا كان خوفاً وهمياً ليس له سبب أصلاً أو له سبب ضعيف فهذا مذموم، يدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعود من الجبن. والإيمان التام والتوكل على الله يدفع هذا النوع، وتتقلب المخاوف في حق خواص المؤمنين أنما وطمانينة لقوة إيمانهم وكمال توكلهم.

ويجب أن نعلم أن الخوف من الله سبحانه يجب أن يكون مقروناً بالرجاء والمحبة بحيث لا يكون خوفاً باعناً على القنوط من رحمة الله عز وجل، فالمؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، بحيث لا يذهب مع الخوف فقط حتى يقنط من رحمة الله، ولا يذهب مع الرجاء فقط حتى يأمن مكر الله؛ لأن القنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله يناهيان التوحيد، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٤).

والخوف والرجاء إذا اجتمعا دفعا العبد إلى العمل وفعل الأسباب النافعة فإنه مع الرجاء يعمل الطاعات رجاء ثوابها، ومع الخوف يترك المعاصي خوف عقابها، أما إذا يئس من رحمة الله؛ فإنه يتوقف عن العمل الصالح، وإذا أمن من عذاب الله وعقوبته؛ فإنه يندفع إلى فعل المعاصي.

الأسئلة

س١: بين من أي أنواع الخوف ما يلي:-

- (أ) رجل خاف إن لم يذبح لصاحب القبر أن يؤذيه. (ب) رجل ترك الأمر بالمعروف خوفاً من كلام الناس.
(ج) رجل لقي أسداً فهرب منه. (د) رجل ترك الجهاد خوفاً من قوة الكفار وكثرتهم.

س٢: ما الذي يجب أن يفتن مع الخوف من الله؟ وضح ذلك مع التعليل.

س٣: ما أثر الخوف من الله تعالى على المسلم؟ وما الفائدة من الجمع بين الخوف والرجاء؟

س٤: ما المراد بالخوف الوهمي، وبم يكون علاجه؟

(١) إلتفات المؤمن من مصائد الشيطان (١/ ١٣٠).

(٢) سورة الأعراف (٢١/ ٩٩).

(٣) الآية ٢١ من سورة القصص.

(٤) الآية ١٦ من سورة الطه.

أصل الأعمال كلها هو المحبة فالإنسان لا يعمل إلا لما يحب؛ إما لجلب منفعة، أو لدفع مضرة، فإذا عمل شيئاً فلائته يحبه إما لذاته كالتعام أو لأنه يوصل إلى المحبوب كالدواء.

وعباداة الله عينية على المحبة بل هي حقيقة العبادة؛ إذا لو تعبد المرء بدون محبة صارت عبادته قسراً لا روح فيها، فإذا كان الإنسان في قلبه محبة لله وللولصول إلى جنته؛ فسوف يسلك الطريق الموصل إلى ذلك.

ولهذا لما أحب المشركون آلهتهم توصلت بهم هذه المحبة إلى أن عبدوها من دون الله أو مع الله.

أقسام المحبة :



المحبة قسمان :

القسم الأول: محبة عبادة وهي التي توجب التذلل والتعظيم، والتي يقوم بقلب الإنسان من إجلال المحبوب وتعظيمه ما يقتضي أن يمثل أمره ويجتنب نهيه، وهذه خاصة بالله، فمن أحب مع الله غيره محبة عبادة؛ فهو مشرك شركاً أكبر. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُلْهِئُهُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (١١) أي: يحبون هذه الأنداد كمحبة الله فيجعلونها شركاء لله في المحبة. وقال تعالى حاكياً عن المشركين:

﴿تَقُولُونَ كُنَّا إِلَىٰ هَٰذَا فَسَمِعْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢)

القسم الثاني: محبة ليست بعبادة في ذاتها وهذه أنواع:

النوع الأول: المحبة لله وفي الله، وذلك بأن يكون الجالس لها محبة الله؛ أي: كون الشيء محبوباً لله من أشخاص؛ كالأنبياء، والرسل، والصديقين، والشهداء، والصالحين، أو أعماله كالصلاة والزكاة، وغير ذلك.

النوع الثاني: محبة إشتاق ورحمة، وذلك كمحبة الولد، والصغار، والمرضى.

النوع الثالث: محبة إجلال وتعظيم لا عبادة، كمحبة الإنسان لوالده، ولعلمه.

النوع الرابع: محبة طبيعية، كمحبة الطعام، والشراب، والملبس، والمركب، والسكن.

وأشرف هذه الأنواع النوع الأول وبقيتها من القسم الباطن، إلا إذا اقترن بها ما يقتضي التعبد صارت عبادة.

(١١) سورة البقرة آية ١٦٦.

(١٢) سورة الشعراء آية ٩٧-٩٨.

فالإنسان يحب والده محبة إجلال وتعظيم، وإذا اقترن بها أن يتعبد لله بهذا الحب من أجل أن يقوم ببر والده صارت عبادة، وكذلك يحب ولده محبة شفقة، وإذا اقترن بها ما يقتضي أن يقوم بأمر الله في إصلاح هذا الولد صارت عبادة. وكذلك المحبة الطبيعية، كالمأكل والمشرب والملبس إذا قصد بها الاستعانة على عبادة الله صارت عبادة.

ولكن لا بد أن تكون محبة الله التي هي محبة العبودية مقدمة على المحبة التي ليست عبودية كمحبة الآباء والأولاد والأموال، وقد نوه الله من قدم هذه المحبة على محبة الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ فَتُحْشَرُونَ كَسَادًا وَهُمْ سَائِرُونَ﴾ (١) وهذا الوعيد في الآية ليس لمجرد حب هذه الأشياء لأن هذا شيء جليل عليه الإنسان وإنما نوه سبحانه من قدم محبتها على محبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه الله ورسوله. فلا بد من إثار ما أحبه الله من عبده وأواده على ما يحبه العبد ويريده.

علامات محبة الله :



ومنها: أن من أحب الله تعالى فإنه يقدم ما يحبه الله من الأعمال على ما تحبه نفسه من الشهوات والملذات والأموال والأولاد والأوطان.

ومنها: أن من أحب الله تعالى فإنه يتبع رسوله ﷺ فيما جاء به فيفعل ما أمر به ويترك ما نهى عنه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

ومنها: الذلة والخضوع والرحمة للمؤمنين.

ومنها: العزة على الكافرين بأن يظهرُوا لهم الغلظة والشدّة والترفع عليهم ولا يظهرُوا لهم الخضوع والخوف.

ومنها: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد والمال واللسان لإعلاء دين الله وقمع أعدائه.

ومنها: أنهم لا تأخذهم ثومة لائم على ما يبذلونه من أموالهم وأنفسهم لنصرة دين الله.

ودليل هذه الأربع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَهُ

أُولَئِكَ عَلَى الْقَوْمِ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَا يُجَاهِدُونَ لَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يُخَالِفُونَ لَكُمْ لَكُمْ فَبِذَلِكَ فَكَّرَ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ

(١) الآية ١٠١ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٣١ من سورة آل عمران.

(٣) سورة التوبة آية ١٢.

والأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى عشرة أشياء ذكرها ابن القيم رحمه الله^(١)، وهي:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالتوافل بعد الفرائض.

الثالث: دوام ذكر الله على كل حال باللسان والقلب والعمل.

الرابع: إيثار ما يحبه الله على ما يحبه العبد عند تراحم المحبتين.

الخامس: التأمل في أسماء الله وصفاته وما تدل عليه من الكمال والجلال، وما لها من الآثار الحميدة.

السادس: التأمل في نعم الله الظاهرة والباطنة ومشاهدة بره وإحسانه وإنعامه على عباده.

السابع: انكسار القلب بين يدي الله وافتقاره إليه.

الثامن: الخلوة بالله وقت النزول الإلهي حين يبقى ثلث الليل الآخر، وتلاوة القرآن في هذا الوقت، وختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة أهل الخير والصالح المحبين لله عز وجل والاستفادة من كلامهم.

العاشر: الابتعاد عن كل سبب يحول بين القلب وبين الله من الشواغل.

الأسئلة

- س١: ما المحبة التي هي حقيقة العبادة؟
 - س٢: هل محبة الوالد والخضوع له تعتبر عبادة له؟ وضح ذلك.
 - س٣: هل محبة الأولاد مذمومة أو ممدوحة؟ وضح ذلك.
 - س٤: اختر - مما يلي - ما يعتبر علامة على صدق محبة الله تعالى:
- (أ) محبة سماع القرآن، وبغض سماع الغناء. (ب) العزة على الكافرين، والخضوع للمؤمنين.
- (ج) ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليوم بعض الناس له.
- س٥: اذكر أربعة أسباب ترى أنها تزيدك محبة لله تعالى.

(١) تفرع مدارج السالكين ٩/٣، ١٦-١٨.

التوكل لغة: الاعتماد والتفويض. وهو من عمل القلب. يقال: توكل في الأمر إذا ضمن القيام به. ووكلت أمري إلى فلان إذا اعتمدت عليه.

والتوكل على الله من أعظم أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله، قال تعالى:

﴿وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١) فأمر الله سبحانه بالتوكل عليه وحده، لأن تقديم المعبود يفيد الحصر، وجعل التوكل عليه شرطاً في الإيمان، كما جعله شرطاً في الإسلام في قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾^(٢) فدلّ على استغناء الإيمان والإسلام عن ثم يتوكل على الله أو تركل على غيره فيما لا يقدر عليه إلا هو.

والتوكل أجمع أنواع العبادة وأعلى مقامات التوحيد وأجلها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة.

وقد جعل الله التوكل عليه من أبرز صفات المؤمنين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَهَا ذِكْرٌ وَآذَانُكُمْ عَلَى رِجَالِكُمْ فَتَقْتَرِنُ بِهِمْ سَبِيحًا وَتَعَالَى اللَّهُ عَنِ الْفِتْنَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْبَاسِعُ﴾^(٣) أي: يعتمدون عليه بقلوبهم فلا يرجون سواه، وفي الآية وصف المؤمنين حقاً بثلاثة مقامات من مقامات الإحسان وهي: الخوف، والرجاء، والإيمان عند سماع القرآن، والتوكل على الله وحده.

والتوكل على الله سبحانه لا ينافي السعي في الأسباب والاحتياط بها؛ فإن الله سبحانه وتعالى لا يقدر على مقادير مبروطة بأسباب، وقد أمر الله تبارك وتعالى بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل؛ قال الله تعالى: ﴿وَالْأَسْبَابُ طَاعَةٌ لِلَّهِ﴾ لأن الله أمر بذلك، وهو من عمل الجوارح، والتوكل من عمل القلب وهو إيمان بالله قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَخْذٌ وَاجِدٌ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(٥)

 التوكل على غير الله تعالى :

التوكل على غير الله تعالى قسمان :

١ - التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله: كالتوكل على الأموات والمغائبين وبحسبهم من الطواغيت في تحقيق النصر والحفظ أو الرزق أو الشفاعة، فهذا شرك أكبر.

(١) الآية ١٣ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١١٠ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٢٠٦ من سورة البقرة.

(٤) الآية ٨٤ من سورة البقرة.

(٥) الآية ١٣ من سورة البقرة.

٢ - التوكل في الأسباب الظاهرة: كمن يتوكل على أمير أو سلطان أو أي شخص حي قادر فيمما أقدره الله تعالى عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك، فهو نوع شرك أصغر.

أما الوكالة الجائزة: فهي إنباء الإنسان من يقوم بعمل عنه مما يقدر عليه؛ كبيع وشراء، ولكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وكله فيه، بل يتوكل على الله في تسيير أموره التي يطلبها بنفسه أو نائبه. لأن توكل الشخص في تحصيل الأمور الجائزة من جملة الأسباب، والأسباب لا يعتمد عليها وإنما يعتمد على الله سبحانه الذي أوجد السبب والمسبب.

قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾^(١) ولا يمكن تحقيق العبادة إلا بالتوكل؛ لأن الإنسان لو وكل إلى نفسه وكل إلى ضعف وعجز، ولم يتمكن من القيام بالعبادة. ولهذا نقول في صلاتنا: «إياك نعبد وإياك نستعين» فنطلب من الله العون اعتماداً عليه سبحانه بأنه سيعيننا على عبادته.

ومنى استدأم العبد العلم بأن الأمر كله لله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم اعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ووثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه مع بذل جهده في فعل الأسباب النافعة فهو المتوكل حقيقة وليس شر بكفاية الله له ووعد للمتوكلين، ومنى علق ذلك بغير الله فهو مشرك، ومن توكل على غير الله وتعلق به وكل إليه وخاب أمه.

الأسئلة

س ١: بين حكم ما يلي مع الدليل والتعليل.

(أ) التوكل على الله في التصرف على الأعداء.

(ب) التوكل على ميت في أن يرزقه أولاداً.

(ج) رجل يقول: لن يقدر أحد على إيذائي، فالأمير يحميني من كل أذى.

(د) رجل يقول: لن أجوع والأمير متكفل برزقي.

(هـ) رجل وكل آخر في أن يقبض ما له من حقوق عند شخص آخر.

س ٢: ما علاقة الإيمان بالتوكل؟

س ٣: رجل قيل له: لماذا لا تعمل وتكسب؟ فقال: أنا متوكل على الله، ورزقي سيأتي في يدي ولو لم أعمل. ناقش هذا القول مع ذكر الدليل والتعليل.

س ٤: متى يكون الإنسان متوكلاً حقيقة ومستحقاً لكفاية الله؟

ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفنجان وغيرهما

الفصل
الرابع

المراد بالغيب:

ما غاب عن الناس من الأمور المستقبلية والماضية وما لا يروونه بالأبصار، وقد اختص الله بعلمه، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١). فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وحده، وقد يطلع رسله على ما شاء من غيبه لحكمة ومصلحة، قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْغَيْبَ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾^(٢) إلا من أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ^(٣). أي لا يطلع على شيء من الغيب إلا من اصطفاه لرسالته فيظهره على ما يشاء من الغيب؛ لأنه يستدل على نبوته بالمعجزات التي منها الإخبار عن الغيب الذي يطلعه الله عليه، وهذا يعم الرسول من الملائكة ومن البشر ولا يطلع عليه غيرهم لدليل الحصر.

حكم ادعاء علم الغيب:

من ادعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل غير من استثناء الله من رسله فهو كاذب كافر.

صور ادعاء علم الغيب:

ادعاء الغيب قد يكون بواسطة قراءة الكف أو الفنجان أو الكهانة أو السحر أو التنجيم أو غير ذلك وهذا الذي يحصل من بعض المشعوذين والدجالين من الإخبار عن مكان الأشياء المفقودة والأشياء الغائبة وعن أسباب بعض الأمراض، فيقولون: فلان عمل لك كذا وكذا فمرضت بسببه، وإنما هو نتيجة لاستخدام الجن والشياطين، ويظهرون للناس أن هذا يحصل لهم عن طريق عمل هذه الأشياء من باب الخداع والتليس، وقد يكون إخبارهم عن ذلك عن طريق التنجيم.

تعريف التنجيم:

وهو الاستدلال بأحوال النجوم على الحوادث الأرضية، فيقولون: من تزوج في نجم كذا وكذا حصل له كذا وكذا، ومن سافر في نجم كذا حصل له كذا، ومن وكّد في نجم كذا وكذا حصل له كذا من السعد أو النحس كما يعلن في بعض الجملات من الخزعبلات حول البروج وما يجري فيها من المخطوط.

(١) الآية ٢١٥ من سورة النحل

(٢) الآية ١٧٤ من سورة الجاثي

وقد يذهب بعض الجهال وضعاف الإيمان إلى هؤلاء المنجمين فيسألهم عن مستقبل حياته وما يجري عليه فيه وعن زواجه وغير ذلك، ومن ادعى علم الغيب أو صدق من يدعيه فهو مشرك كافر، لأنه يدعي مشاركة الله فيما هو من خصائصه. والنجوم مسخرة مخلوقة ليس لها من الأمر شيء ولا تدل على نحوس ولا مسعود ولا موت ولا حياة. وليس من علم التنجيم المحرم نَعْلَمُ منازل الشمس والقمر ومعرفة النجوم للاستدلال بذلك على جهة القبلة وأوقات الصلوات والفصول، قال تعالى:

﴿وَعَلَّمَكَ وَإِلَّا تَجِيبُ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْأَنْجَارِ﴾^(٢)

الْأَسْئَلَةُ

- س ١: ما المراد بالغيب؟ وما الدليل على اختصاص الله تعالى به؟
- س ٢: من الذي يطلعه الله على شيء من الغيب؟ وما الحكمة في ذلك؟
- س ٣: ما سبب إخبار الكهتان عن بعض المغيبات؟
- س ٤: عرف التنجيم، وما حكمه؟ مع التعليل.
- س ٥: بين حكم ما يأتي:

- (أ) ذهاب بعض الناس إلى المنجمين ليسألوهم عن مستقبل حياتهم.
- (ب) تعلم بعض الناس منازل الشمس والقمر لمعرفة جهة القبلة.
- (ج) تعلم بعض الناس منازل النجوم لمعرفة الفصول.
- (د) الإعلان في بعض المجلات حول البروج وما يجري فيها من الحظوظ.

(١) الآية (١٦١) من سورة النحل، (٢) الآية (١٧٧) من سورة الأنعام.

الأنواء هي: النجوم:

ومعنى الاستسقاء بالأنواء: نسبة نزول المطر إلى طلوع النجم أو غروبه. وهذا على ما كانت تعتقه الجاهلية من أن طلوع النجم أو مغيبه يؤثر في إنزال المطر، فيقولون: **مُطِرْنَا بِتَوء** كذا وكذا، وهم يسمون بذلك النجم، ويعيرون عنه بالتوء وهو طلوع النجم من تاء يتوء إذا طلع.

وبيان ذلك أن ثمانية وعشرين نجماً معروفة المطالع في لزمنة السنة كلها وهي المعروفة منازل القمر الثمانية والعشرين، يسقط -يعيب- في كل ثلاث عشرة ليلة منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته. وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر يسونه إلى الساقط الغارب منها^(١).

وقد جاء الإسلام بإبطال هذا الزعم والنهي عنه فنزول المطر واتحاسبه راجع إلى إرادة الله وتقديره وحكمته، وليس لطلوع النجوم تأثير في ذلك.

قال تعالى: ﴿وَتَجْمَلُونَ رَبَّكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(٢).

ويفسر هذه الآية ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ**، فقال النبي ﷺ: أصبح من الناس شاكرو ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية ﴿فَلَا أَقْبِئُ بِنُجُومٍ﴾^(٣)، حتى بلغ:

﴿وَتَجْمَلُونَ رَبَّكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(٤).

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحدادية على إثر صلاة كانت من الليل. فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تسمعون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **أقال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**^(٥).

(١) انظر شرح التورق على مسلم ٨٠/٢ - ٨١. (٢) الآية ١٨١ من سورة الواقعة.

(٣) رواد مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من كان مطرنا بنوء، حديث رقم ١٢٧.

(٤) رواد البخاري، كتاب الاستسقاء، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَجْمَلُونَ رَبَّكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، حديث رقم ٣٨١ - ١١، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بنوء، حديث رقم ١٢٧.

ففي هذا تحريم نسبة أفعال الله إلى غيره وأن ذلك كفر.

ولا يخلو حال مَنْ ينسب نزول المطر إلى غير الله مِنْ أحد أمرين:

الأول: أن يعتقد أن المنزل للمطر هو النجم، فهذا كفر أكبر، لأنه إشراك في الربوبية، إذ لا خالق إلا الله.

الثاني: أن ينسب إنزال المطر إلى النجم باعتباره سبباً مع اعتقاده أن الله تعالى هو الفاعل لذلك، فهذا شرك أصغر. لأن الله لم يجعله سبباً لإنزال المطر. ولأنه من نسبة نعمة الله إلى غيره.

وقد جزم أهل العلم بتحريم قول: «مطرنا ينوء كذا» لما سبق من الأدلة، ولأن الباء تحمل معاني وكلها لا تصدق بهذا اللفظ فليست للسببية ولا للاستعانة - كما سبق - ولا تصدق أيضاً على أنها للمصاحبة؛ لأن المطر قد يجيء في هذا الوقت وقد لا يجيء فيه. وإنما يأتي المطر في الوقت الذي أراد الله برحمته وحكمته. فكل معنى تحمل عليه الباء في هذا اللفظ المنهي عنه فاسد.

والواجب إضافة المطر وغيره من النعم إلى الله فإنه الذي تفضل به تعالى عباده، فلا يتم توحيد العبد حتى يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق ويضيفها إليه ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره.

وهذا الموضع من محققات التوحيد، وبه يعرف كامل الإيمان وناقصه.

الأسئلة

س ١: ما المراد بالاستسقاء بالأنواء، وما موقف الإسلام منه؟

س ٢: ما وجه دلالة قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ على بطلان الاستسقاء بالأنواء؟

س ٣: بين حكم ما يلي مع التعليل:

(أ) نسبة أفعال الله إلى غيره.

(ب) اعتقاد أن الكواكب سبب في نزول المطر.

(ج) الاعتراف بنعم الله الظاهرة والباطنة ونسبتها إليه.

سبق الكلام عن الاستسقاء بالأنواء ونسبة المطر إليها. والكلام الآن عن نسبة النعم عموماً إلى غير الله.

فالأوجب على الخلق الاعتراف بفضل الله وإنعامه، والقيام بشكره، وإضافة النعم إليه اعتقاداً وقولاً؛ وبذلك يتم التوحيد ويتحقق الإيمان.

ومن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافر بالله، ومن أقر بقلبه أن النعم كلها من الله وحده، وهو بلسانه تارة يضيفها إلى الله، وتارة إلى نفسه وعمله أو سعي غيره فهذا شرك أصغر منافٍ لكمال التوحيد، يجب التوبة منه.

والشكر الذي هو رأس الإيمان مبني على ثلاثة أركان:

١ - اعتراف القلب بنعم الله كلها.

٢ - التحدث بها وحمد الله عليها والثناء عليه بها.

٣ - الاستعانة بها على طاعة المتعم بها وعبادته، وهذا هو شكر الجوارح.

ونسبة النعم إلى غير الله أمثلة كثيرة كنسبة بعضهم نزول المطر إلى آلهتهم فيقولون: هذا يشفاعة آلهتنا، وقول بعضهم - إذا طاب سير السفينة - : كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً. وقول: لولا فلان لكان كذا، وهذا مألوف عن آبائي - متناسين بذلك المسبب الذي هو الله تعالى - ومن الأمثلة المعاصرة: قول بعضهم: تقدم الطب قضى على الأمراض، والخطط التنموية تقضي على الفقر والجهل، ونحو ذلك.

ومن الأمثلة أيضاً ما ذكره الله عن أقوام أنكروا نعمة الله عليهم، ونسيوا ما حصلوا عليه من المال والنعمة إلى غير الله؛ إما إلى كونهم يستحقونها أو إلى خبرتهم ومعرفتهم ومهارتهم. قال تعالى عن قارون الذي آتاه الله الكنوز العظيمة فبغى على قومه، وقد وعظه الناصحون وأمرؤه بالاعتراف بنعمة الله وشكرها فكابر وقال: ﴿لَمَّا أُوْتِيَتْهُ عَذَابٌ مُّذِينٌ﴾^(١) أي حصلت على هذه الكنوز بسبب حذقي ومعرفتي بوجود المكاسب، لا أنها تفضل من الله تعالى، فكانت عاقبته من أسوأ العواقب حيث خسف الله به وبداره الأرض لما جحد نعمة الله ونسبها إلى غيره، وادّعى أنه حصل عليها بحوله وقوته. وما أحقر هؤلاء الذين اغتبروا في زماننا بما توصلوا إليه من مخترعات وقدرات أقدرهم الله

عليها امتحاناً لهم، فلم يشكروا نعمة الله، وصاروا يتشكقون ويتفاخرون بحولهم وقوتهم، وبغوا في الأرض بغير الحق، ونطاولوا على عباد الله؛ ما أحراهم بالعقوبة.

فقد اغترت قبلهم عاد بقوتها، كما قال تعالى عنهم: ﴿فَمَا عَادَ قَوْمُكَ إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَنَافِقَةً أَوْ تَدْبِرُوا أَمْ لَا يَدْخُلُهَا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مَنَافِقَةً وَقَدْ كُنَّا يَتْلُونَ تَجْوِذَنا يَجْحَدُونَ﴾ (١٥) فَزَلْنَا عَلَيْهِمْ بِخَافِرَاتٍ فِي الْأَرْبَابِ لِيَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾.

الأسئلة

س١: ما الواجب على الإنسان تجاه نعم الله تعالى، وما حكم من أنكر هذه النعم؟

س٢: ما حكم نسبة الإنسان نعمة الله إلى سعيه واجتهاده بلسانه؟

وما الموقف مما يبدله بعض الناس من جهود للتقدم والرفي من حيث نسبة النتائج والثمار؟ مع التعليل.

س٣: اذكر مثالا لحال من نسب النعمة إلى نفسه، مع بيان عاقبته.

س٤: ما أركان الشكر؟ واذكر تطبيقاً لها على إحدى نعم الله.

١ - تعريف السحر:



لغة: ما خفي ولطف مبه، وسمي سحراً لأنه يحصل بأمور خفية لا تدرك بالأيصار.
وشرعاً: عزائم وعقد بنفث فيها ورقى وكلام يتكلم به وأدوية وتدخلات. وله حقيقة، ومنه ما يؤثر في القلب والبدن فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه.
ونائبه يأذن الله الكوني القدرى، وهو عمل شيطاني - وكثير منه لا يتوصل إليه إلا بالشرك والتقرب إلى الأرواح الخبيثة بما تحب والتوصل إلى استخدامها بالإشراك بها - ولهذا قرنه الشارع بالشرك حيث يقول النبي ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هن؟ قال: الإشراك بالله والسحر) (٢).

حكم السحر:



السحر كفر وشرك يناقض العقيدة ويجب قتل متعاطيه، كما قتل جماعة من أكابر الصحابة رضي الله عنهم السحرة، وقد تاهل الناس في شأن الساحر وربما عدوا ذلك فتاً من الفنون التي يفتخرون بها ويمنحون أصحابها الجوائز والتشجيع، ويقيمون النوادي والمسابقات للسحرة ويحضرها آلاف المتفرجين والمشجعين، وهذا من الجهل بالدين والتهاون بشأن العقيدة وتمكين للمعاشين بها.

٢ - الكهانة والعرافة:



وهما ادعاء علم الغيب ومعرفة الأمور الغائبة كالإخبار بما سيحصل في الأرض، وأين مكان الشيء المفقود، وذلك عن طريق استخدام الشياطين الذين يترقون السمع من السماء. كما قال تعالى:

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا نَزَّلْنَا الشَّيَاطِينَ ﴿١٧﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿١٨﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (٣)

وذلك أن الشيطان يسترق الكلمة من كلام الملائكة فيلقها في أذن الكاهن ويكذب الكاهن مع هذه الكلمة مائة كذبة فيصدقها الناس بسبب تلك الكلمة التي سمعت من السماء.

(١) عراف: هو الذي يدعي معرفة الأمور الغائبات بشرط يدا غير الطريق ومكان المكان وسحر ذلك، وقال أبو الكاهن: والكاهن هو الذي يصر عن الغيبات في الشغل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الكاهن اسم للمكهن والمهجم والرمال وشعرهم عن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٠٠٠) باب السحر. (٣) سورة الشعراء (١٦٦-١٧٧) من سورة الشعراء.

لأن لهم حيلة في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء من دهن الضفادع وقشر السارنج وحجر الطلق فضج الناس بذلك، فأخذ يظهر القدرة فقال: أنا وأنت نلف في بارية بعد أن تطلّي جسمنا بالكبريت، فقلت: فقم وأخذت أكرر عليه بالقيام إلى ذلك، فمدّ يديه يظهر خلع القميص. فقلت: لا، حتى تغتسل بالماء الحار والخل فأظهر الوهم على عادتهم فقال: من كان يحب الأمير فليحضر خشباً، أو قال حزمة حطب فقلت: هذا تطويل وتضيق للجمع ولا يحصل به مفصود، بل قنديل يوقد وأدخل أصبعي وأصبعت فيه بعد الغسل ومن احترقت أصبعه فعليه لعنة الله أو قلت فهو مغلوب. فلما قلت ذلك تغير وذلّ انتهى^(١)، والمقصود منه بيان أن هؤلاء الدجالين يكذبون على الناس بمثل هذه الحيلة الخفية.

علاقتها بالشرك:



كل هذه الأمور أعمال شيطانية محرمة، تُخِلُّ بالعقيدة أو تناقضها لأنها لا تحصل إلا بأمور شركية، فهي داخلية في الشرك من ناحيتين.

الناحية الأولى: ما فيها من استخدام الشياطين والتعلّق بهم والتقرب إليهم بما يحبونه من طاعتهم وحرفه شيء من العبادة لهم ليقوموا بخدمة الساحر، فالسحر من تعليم الشياطين-قال تعالى:

﴿وَلَنَكْذِبُنَّ الشَّيَاطِينَ كَفْراً وَأَعْلِمُونَ النَّاسَ الْمَخِرَ﴾^(٢).

الناحية الثانية: ما فيها من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في ذلك، وهذا كفر وضلال قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لِسَانَ الشَّيْطَانِ مَا كَذَبَ فِي الْأَجْرَةِ مِنْ خَالٍ﴾^(٣) أي: نصيب.

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ١٦٥-١٦٦)

(٢) (٣) الآية (٢-١) من سورة البقرة

الأسئلة

- س١ : عرف السحر لغة وشرعاً، ولماذا سمي السحر سحراً؟
- س٢ : لماذا قرن السحر بالشرك؟ مع الاستدلال على ذلك.
- س٣ : ما حكم متعاطي السحر؟ وماذا يجب نحوه؟ مع الاستدلال.
- س٤ : ما الكهانة والعرافة؟ وما حكمهما؟
- س٥ : اذكر صوراً تبين خطر الكهنة والسحرة والعرافين على الناس.
- س٦ : ما حكم الذهاب إلى الكهان والعرافين للعلاج عندهم؟ دلل على ما تقول.
- س٧ : ما حكم تمكين الكهان والعرافين من إظهار أعمالهم أمام الجمهور من المسلمين؟ علل ما تقول.
- س٨ : ما وجه كون الكهانة شركاً في الربوبية وشركاً في الألوهية؟
- س٩ : اذكر مثالا من دجل السحرة وتلييسهم.
- س١٠ : ما علاقة السحر والكهانة والعرافة بالشرك؟

تعريف الرقى :



الرقى: جمع رُقِيَّة وهي العُوذَةُ التي يُرْقَى بها صاحب الآفة كالحُمى والصرع وغير ذلك من الآفات ويسمونها العزائم وهي على نوعين:

النوع الأول: ما كان خالياً من الشرك بأن يُقرأ على المريض شيء من القرآن أو يُعوذُ بأسماء الله وصفاته فهذا مباح؛ لأن النبي - ﷺ - قد رَقَى وأمر بالرقى وأجازها.

عن عوف بن مالك - رضى الله عنه - قال: كنا نرقى في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: (اعرضوا عليّ رُقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً) ^(١).

شروط الرقية الشرعية:



- قال السيوطي - رحمه الله -: وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:
- (١) أن تكون بكلام الله أو بأسماء الله وصفاته أو بالأدعية النبوية.
 - (٢) أن تكون باللسان العربي وما يعرف معناه.
 - (٣) أن يعتقد أن الرقى لا تؤثر بذاتها. بل بتقدير الله تعالى ^(٢).

كيفيتها:



أن يقرأ وينفث على المريض، أو يقرأ في ماء ويسقاه المريض، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: (أن النبي - ﷺ - كان يقول للمريض: بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا) ^(٣).

النوع الثاني: ما لم يخلُ من الشرك وهي الرقى التي يستعان فيها بغير الله من دعاء غير الله والاستغاثة والاستعاذة به، كالرقى بأسماء الجن أو بأسماء الملائكة والأنبياء والصالحين فهذا دعاء لغير الله وهو شرك أكبر. وأما إن كان بغير اللسان العربي أو بما لا يعرف معناه فيخشى أن يدخلها كفر أو شرك ولا يعلم عنه فهذا النوع من الرقى ممنوع سداً للذريعة.

(٢) فتح المجيد ص ١٣٥ بتصرف.

(١) رواه مسلم كتاب السلام باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك حديث ٢٢٠٠ ص ١٧٢٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي - ﷺ -، ومسلم، كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث حديث ٢١٩٤ ص ١٧٢٤. ومعنى الحديث: أنه يأخذ من ريقه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الموضع أو العليل. ويقول هذا في حال المسح.



تعريف التماثم :

التماثم: هي جمع تيممة وهي: ما يعلق بأعناق الصبيان لدفع العين، وقد يعلق على الكبار من الرجال والنساء وهي على نوعين:

النوع الأول: ما كان من القرآن، بأن يكتب آيات من القرآن، أو من أسماء الله وصفاته ويعلقها للاستشفاء بها فهذا النوع قد اختلف العلماء في حكم تعليقه على قولين:

القول الأول: الجواز وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو ظاهر ما روي عن عائشة وبه قال أبو جعفر الباقر رحمه الله وأحمد بن حنبل رحمه الله في رواية عنه وحملوا الحديث الوارد في المنع على تعليق التماثم التي فيها شرك.

القول الثاني: المنع من ذلك وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما وهو ظاهر قول حذيفة رضي الله عنه وعقبة بن عامر رضي الله عنه وابن عكيم رضي الله عنه وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب ابن مسعود وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه وجزم بها المتأخرون واحتجوا بما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الرقي والتماثم والثوكة ^(١) شرك) ^(٢).

وهذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة:

الأول: عموم النهي ولا مخصص للعموم.

الثاني: سد الذريعة فإنها تؤدي إلى تعليق ما ليس مباحاً.

الثالث: أنه إذا علق شيئاً من القرآن فلا بد أن يمتنعه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك ولا سيما إذا كان من الصبيان ^(٣).

النوع الثاني من التماثم:

وهي التي تعلق على الأشخاص من غير القرآن، كالحفرز والعظام والودع والخيوط والنعال والمسامير وأسماء الشياطين والجن والطلاسم، فهذا محرم قطعاً وهو من الشرك؛ لأنه تعلق بخير الله سبحانه وأسمائه وصفاته وآياته، وفي الحديث: (من تعلق شيئاً وكل إليه) ^(٤).

(١) الثوكة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يعيد الموات إلى زوجها والرجل إلى امراته.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب من يعلق التماثم حديث ٢٨٨٢ وابن ماجه، كتاب الطب، باب يعلق التماثم حديث ٣١٢٠ وأحمد ج ١ ص ٣٨١ والحاكم ج ٢ ص ١١٧.

والبخاري في شرح السنة ج ١٤ ص ١٤١، ١٤٧ وللقس كلام الأئمة في الصحيح ج ١ حديث ٢٣١.

(٣) فتح البعيد ص ١٢٦. (٤) رواه أحمد ج ١ ص ٣١١، ٣١٠ والترمذي ٢٠٧٧ والحاكم ج ٢ ص ٢١٦.

أي وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلفه، فمن تعلق بالله والتجأ إليه وفوض أمره إليه كفاه وقرب إليه كل بعيد وبسر له كل عسير، ومن تعلق بغيره من المخلوقين والتمائم والأدوية والفسور وكله الله إلى ذلك الذي لا يغني عنه شيئاً ولا يملك له ضرراً ولا نفعاً فحسر عقيدته وانقطعت صلته بربه وخذله الله

الواجب على المسلم:



الواجب على المسلم المحافظة على عقيدته مما يفسدها أو يخل بها فلا يتعاطى ما لا يجوز من الأدوية ولا يذهب إلى المخرفين والمشعوذين ليعالج عندهم من الأمراض؛ لأنهم يمرضون قلبه وعقيدته، ومن توكل على الله كفاه.

وبعض الناس يعلق هذه الأشياء على نفسه وليس فيه مرض حسي وإنما فيه مرض وهمي وهو الخوف من العين والحسد، أو يعلقها على سيارته أو دابته أو باب بيته أو دكانه وهذا كله من ضعف العقيدة وضعف توكله على الله، وضعف العقيدة هو المرض الحقيقي الذي يجب علاجه بمعرفة التوحيد والعقيدة الصحيحة.

تنبيه مهم:



الرقى غير الشرعية والتمائم إن اعتقد متخذها أنها تؤثر بذاتها أو اشتملت على تقرب إلى الشياطين فهي شرك أكبر، وإن اعتقد أنها سبب غير مؤثر بذاته، والتأثير بتقدير الله فهي شرك أصغر.

الأسئلة

- س١: عرف الرقى، وما أنواعها مع ذكر الأدلة؟
- س٢: ما شروط الرقية الشرعية؟
- س٣: عرف التميمة.
- س٤: ما حكم تعليق التمام التي تكتب من القرآن أو من أسماء الله وصفاته مع الترجيح والاستدلال على ذلك؟
- س٥: ما حكم تعليق التمام التي من غير القرآن كالحروز والعظام ونحو ذلك مع الاستدلال؟
- س٦: متى تكون الرقى غير الشرعية شركاً أكبر ومتى تكون شركاً أصغر؟
- س٧: ما حكم الرقية بغير اللسان العربي أو بما لا يعرف معناه؟ ولماذا؟

تعريف الطيرة :



هي التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقايا والأشخاص وغير ذلك. فإذا عزم شخص على أمر من الأمور فرأى أو سمع ما يكره أثر فيه ذلك أحد أمرين:

أحدهما: أن يستجيب لذلك الداعي فيترك ما كان عازماً عليه تائراً بما رأى أو سمع، فيعلق قلبه بذلك المكروه، ويؤثر ذلك على إيمانه ويخل بتوحيده وتوكله على الله.

والأمر الثاني: أن لا يستجيب لذلك الداعي، ولكنه يؤثر في قلبه حزناً وهمّاً وغماً فهذا وإن كان دون الأول لكنه ضرر على العبد وموهن لتوكله. وربما تدرج به إلى الأمر الأول.

فهذا التفصيل بين وجه ذم الشرع للطيرة ووجه منافاتها للتوحيد والتوكل والواجب على من وجد شيئاً من ذلك في نفسه أن يجاهدها على دفعه ويستعين بالله ويتوكل عليه ويمضي في شأنه، ولا يركن إلى هذا الشيء بل يقطع هاجس الطيرة قبل استقرارها.

والطير شرك؛ لما روى ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك»^(١) وذلك لكونه تعلق على غير الله، واعتماد بحصول الضرر من مخلوق لا بملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، ولما افاته بالتوكل. وعن معاوية بن الحكم أنه قال لرسول الله ﷺ: «ومنا أناس ينطيرون»، قال: «ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم»^(٢). فأخبر أن تآذيه وتشاؤمه بالطيرة إنما هو في نفسه وعقيدته لا في التطير به، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده تائراً بما رآه أو سمعه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة»^(٣).

وقد بين النبي ﷺ الفأل بأنه الكلمة الطيبة، وأخبر أنه يعجبه فدلّ على أنه ليس من الطيرة المنهي عنها، وليس فيه شيء من الشرك.

(١) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب الطيرة حديث رقم ٣٩١٠ والترمذي، كتاب الفرس، باب ما جاء في الطيرة حديث رقم ١٦١٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان من ١٤٤٨ حديث رقم ٥٣٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب الطب، باب الفأل رقم (١٧٨٦) ومسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل رقم (٢٢٢٤).

وصفة ذلك: أن يعزم العبد على أمر ثم يرى في تلك الحال أو يسمع ما يسره مثل: يا راشد أو سالم أو غانم فيثقل ويزداد طمعه في تيسير ذلك الأمر الذي عزم عليه. فهذا كله خير وأثارة خير. وإنما أعجبه الفأل لأنه حسن ظن بالله، والعبد مأمور أن يحسن الظن بالله.

والطيرة سوء ظن بالله عز وجل، وتوقع للبلاء. ومن هنا جاء الفرق بينهما في الحكم؛ لأن الناس إذا أملوا الخير من الله علقوا قلوبهم به وتوكلوا عليه وإذا قطعوا آمالهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر والتعلق على غير الله.

الأسئلة

س١: بين ما هو تطير وما ليس بتطير مما يلي:

- (أ) رجل خرج مسافراً لحاجة فرأى غراباً فرجع.
- (ب) رجل خسر في تجارته فقال: خسرت لأنني قابلت صبيحاً رجلاً أعور.
- (ج) رجل خرج إلى دكانه فسمع رجلاً يقول: ريحت، ريحت؟ ففرح بذلك.
- (د) رجل سافر فرأى في طريقه بومة، فاستمر في سفره.

س٢: بين حكم الطيرة مع الدليل والتعليل.

س٣: ما الفرق بين الطيرة والفأل؟

س٤: ما العلاج لمن وجد في نفسه التطير؟

تقديم القرايين والنذور والهدايا للمزارات (١) والقبور وتعظيمها

الفصل
العاشر

لقد سَدَّ النبي ﷺ كل الطرق المقضية إلى الشرك وحذر منها غاية التحذير، ومن ذلك مسألة القبور فقد وضع الضوابط الواقية من عبادتها والغلو في أصحابها ومن ذلك:

١ - أنه قد حذر ﷺ من الغلو في الأولياء والصالحين، لأن ذلك يؤدي إلى عبادتهم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)^(١). وقال: (لا نظروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)^(٢).

٢ - حذر ﷺ من البناء على القبور، كما روى أبو الهيثاج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع عمالاً إلا طمسسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) وفي رواية (ولا صورة إلا طمسستها)^(٣). ونهى عن تخصيصها والبناء عليها، فعن جابر رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ عن تخصيص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه)^(٤).

٣ - وحذر ﷺ من الصلاة عند القبور، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً)^(٥).

(١) المزارات: جمع مزار وهو ما يزور من القبور والآثار والأماكن بقصد التعبد. القرايين: جمع قريان وهو ما ينظر به من القبور والآثار والأماكن للتعبد. جمع نظر وهو ما يقوم المرء به نفسه من القربات.

(٢) روى الإمام أحمد في مسنده ج ٦ ص ٢٧٥ والنسائي كتاب مناسك الحج باب من كان على القبر حتى يموت ج ٢٩ ص ١١٥/١١٦.

(٣) روى البيهقي في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿ولا تدع عمالاً إلا طمسسته﴾ الآية ج ١ ص ١١٢.

(٤) روى مسلم كتاب الجنائز باب الآدمي يتسوية لمقر حديث رقم ٩٦٩ ص ٦٦٦.

(٥) روى مسلم كتاب الجنائز باب النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه حديث رقم ٩٧٠ ص ٦٦٧.

(٦) روى البيهقي في كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي ﷺ ج ٢ ص ١٠٦ وروى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور حديث رقم ٤٦٩ ص ٦٧٦.

فيكون الزائر محسناً إلى نفسه وإلى الميت، فقلب هؤلاء المشركون الأمر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه والدعاء به وسؤال حوائجهم واستئصال البركات منه ونصره لهم على الأعداء ونحو ذلك، فصاروا مسيئين إلى أنفسهم وإلى الميت ولو لم يكن إلا بحرمانه بركة ما شرعه تعالى من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له. انتهى^(١).



حكم تقديم النذور والقرايين للمزارات:

تقديم النذور والقرايين للمزارات شرك أكبر، سببه مخالفة هدي النبي ﷺ في الحالة التي يجب أن تكون عليها القبور، من عدم البناء عليها، وإقامة المساجد عليها، لأنها لما بنيت عليها القباب وأقيمت حولها المساجد والمزارات ظن الجاهل أن المدفولين فيها ينفعون أو يضررون، وأنهم يغشون من استغاث بهم ويقضون حوائج من التجأ إليهم فقدموا لهم النذور والقرايين، حتى صارت أوثاناً تعبد من دون الله، وقد قال النبي ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد)^(٢) وما دعا بهذا الدعاء إلا لأنه سبحانه يحصل شيء من ذلك في غير قبره ﷺ وقد حصل في كثير من بلاد الإسلام، أما قبره فقد حماه الله ببركة دعائه ﷺ، وإن كان قد يحصل في مسجده شيء من المخالفات من بعض الجاهل أو الخرافيين^(٣) لكنهم لا يقدرون على الوصول إلى قبره ﷺ، لأن قبره في البيت وليس في المسجد وهو محوط بالجدران.

الأسئلة

س١: ما حكم الزمان الذي تقضى إلى الشرك؟ وبين كيف سدها النبي ﷺ مستدلاً لما تقول.
س٢: بين حكم ما يأتي مع التعليل:

- (أ) تخصيص القبور والبناء عليها.
- (ب) الصلاة عند القبور.
- (ج) إيقاد السرج، وإيقاف الوقوف على إيقاد القناديل على القبور.
- (د) الدعاء للميت والترحم عليه وسؤال العافية له.

س٣: ما الذي يستفاد من قول الرسول ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد)؟ وهل عبد قبره ﷺ ولماذا؟
س٤: اذكر خمسة أمثلة لمخالفة الناس سنة النبي ﷺ في القبور، وما الذي آلت إليه هذه المخالفة؟

(١) (١١) ٢٥٥ (١٢) ٢١٤-٢١٥-٢١٦ (١٣) ٢١٧.

(١٤) رواه أحمد ج ٢ ص ٦٤٦ ورواه مالك مرسلاً كتاب فضل الصلاة في البقر باب جامع الصلاة حديث ٨٥ ج ١ ص ١٧٤.

تعريفها:



التماثيل جميع تماثيل، وهو الصورة المجسمة على شكل إنسان أو حيوان أو غيرها مما فيه روح .
والنصب في الأصل: العلم وأحجار كان المشركون يذبحون عندها، والنصب التذكارية: تماثيل يقيمونها في الميادين ونحوها لإحياء ذكرى زعيم أو معظم على صورهم.

تصوير ذوات الأرواح وسيلة إلى الشرك:



لقد حذر النبي ﷺ من تصوير ذوات الأرواح، ولا سيما تصوير المعظمين من البشر كالعلماء والملوك والعباد والقادة والرؤساء، سواء أكان هذا التصوير عن طريق رسم الصورة على لوحة أو ورقة أو جدار أو ثوب، أم عن طريق النحت وبناء الصورة على هيئة التمثال، ونهى ﷺ عن تعليق الصور على الجدران ونحوها، وعن نصب التماثيل ومنها النصب التذكارية، لأن ذلك وسيلة إلى الشرك، فإن أول شرك حدث في الأرض كان بسبب التصوير ونصب الصور، وذلك أنه كان في قوم نوح رجال صالحون فلما ماتوا حزّن عليهم قومهم فأرّحى إليهم الشيطان أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبّد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبّدت^(١) ولما بعث الله نبيه نوحاً عليه السلام ينهى عن هذا الشرك الذي حصل بسبب تلك الصور التي نصبت امتنع قومه من قبول دعوته وأصروا على عبادة تلك الصور المنصوبة التي تحولت إلى أوثان:

﴿وَقَالُوا لَا تَنْكُرُوا آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُوا وَدًّا وَلَا آُلَافًا وَلَا يَتُوبُ وَيَعْقُوبُ وَشِرًّا﴾^(٢)

وهذه أسماء الرجال الذين صورت تلك الصور على أشكالهم إحياء لذكر بانهم وتعظيمهم لهم .
فانظر إلى ما آل إليه الأمر بسبب هذه الانصاب التذكارية من الشرك بالله ومعاندة رسله، مما سبب إهلاكهم بالطوفان وسقتهم عند الله وعند خلقه، مما يدلّك على خطورة التصوير ونصب الصور، ولهذا لعن

(١) رواه البخاري، كتابه الصور، تفسير سورة نوح ج ٦ ص ٧٣

(٢) الآية (١٣) من سورة الحج

النبي ﷺ. المصورين^(١)، وأخبر أنهم أُمِدَّ الناس عذاباً يوم القيامة^(٢)، وأمر بطمس الصور. وأخبر أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة^(٣)، كل ذلك من أجل مفسادها وشدة مخاطرها على الأمة في عقيدتها، فإن أول شرك حدث في الأرض كان بسبب نصب الصور، وسواء أكانت هذه النصب للصور والنماثيل في المجالس أم في الميادين أم في الحدائق، فإنه محرم شرعاً لأنه وسيلة إلى الشرك وفساد العقيدة، وبهذا تعلم أن تعظيم الصور المجسمة والمنحوتة على هيئة الصنم والنمثال مما فيه مضاهاة خلق الله عز وجل أمر محرم شرعاً، وأما الصورة التي لا تعظم كالصور الفوتوغرافية المعروفة والمستعملة في إثبات الشخصية كبطاقة الأحوال وجواز السفر وما في حكمها مما تدعو إليه الحاجة أو تملية المصلحة فلا بأس بها إن شاء الله.

الأسئلة

س ١ : ما المراد بالتعائيل والنهب التذكارية؟

س٢: متى حصل أول شرك في الأرض، وما سببه، وكيف حصل ذلك؟

س ۳: بین حکم ما یائی مع التعلیل۔

(i) الرسم عن طريق النحت وبناء الصور على هيئة تماثيل.

(ب) نصب التماثيل والنصب التذكارية.

[illegible][illegible][illegible]

حكم الاستهزاء بالدين:



يجب على المسلم تعظيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ واحترام علماء المسلمين قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُعْظِمْ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(١) كما ينبغي أن يعرف حكم من استهزأ بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ ليكون المسلم على حذر من ذلك.

والاستهزاء بالدين ردة عن الإسلام وخروج عن الدين بالكلية، قال الله تعالى:

﴿قُلْ أَبِاللهِ وَالْيَوْمِ وَالْآخِرِ، وَرَسُولِهِ، كُنتُمْ شَاهِدُهُمْ، وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) ﴿لَا تَعْلَمُونَ أَنَّ كُفْرَكُمْ بِعَدَائِمْكُمْ﴾^(٣) فهذه الآية: تدل على أن الاستهزاء بالله كفر، وأن الاستهزاء بالرسول كفر، وأن الاستهزاء بآيات الله كفر فمن استهزأ بواحد من هذه الأمور فهو مستهزئ بجميعها، والذي حصل من هؤلاء المنافقين أنهم استهزؤوا بالرسول وصحابته فنزلت الآية، فالاستهزاء بهذه الأمور متلزم.

من أسباب الاستهزاء:



الاستخفاف بتوحيد الله تعالى وتعظيم دعاء غيره من الأموات، فمن الناس من إذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِلْكَ آيَاتِنَا تَبَسُّوا وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهَا لَافًا﴾^(٤) فاستهزؤوا بالرسول ﷺ لما

نهاهم عن الشرك، وما زال المشركون يعيبون الأنبياء ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون إذا دعوهم إلى التوحيد، لما في أنفسهم من تعظيم الشرك، وهكذا تجد من فيه شبه منهم إذا رأى من يدعو إلى التوحيد استهزأ به لما عنده من الشرك.

فهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثاناً تخدمهم يستهزؤون بما هو من توحيد الله وعبادته ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذباً ولا يجترئ أن يحلف بشيخه كاذباً، وكثير من طوائف المبتدعة يرى أحدهم أن استغاثته بالشيخ إما عند قبره أو غير قبره أنفع له من أن يدعو الله في

(١) الآية (٣٢) من سورة الحج، (٢) الآية (٦٣) من سورة النوبة، (٣) الآية (١٠-١١) من سورة الفرقان، (٤) الآية (١٦) من سورة النوبة.

المسجد عند السَّحَر، ويستَهْزئُ بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد، وكثير منهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد^(١) فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وبآياته ورسله وتعظيمهم للشرك^(٢)، وهذا كثير وقوعه في القبورين اليوم.

من صور الاستهزاء:



ما ورد من قول مَنْ نزلت فيهم الآية السابقة من سورة التوبة: ما رأينا مثل قرآننا هؤلاء أَرْغَبَ بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أَجَبَنَ عند اللقاء. أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين كقول بعضهم: إن الإسلام إنما يصلح للقرون الوسطى، وأنه تأخر ورجعية، وأن فيه قسوة ووحشية في عقوبات الحدود والتعازير، وأنه ظلم المرأة حقوقها، حيث أباح الطلاق وتعدد الزوجات وغوائلهم: الحكمُ بالقوانين الوضعية أحسن للناس من الحكم بالإسلام.

ومن الاستهزاء: السخرية بمن يدعو إلى التوحيد أو ينكر الشرك وعبادة القبور أو يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر، ومنه أيضاً الاستهزاء بالسنة الظاهرة كأغفاء اللحى وترك الإسيال، ومثل السخرية والاستهزاء بالحجاب وسواء أكان ذلك على وجه الجد والقصد أم الضحك واللعب نصريحاً واضحاً أو غمراً أو همزاً أو لمزاً فكله داخل في الاستهزاء المنهي عنه وداخل في الوعيد الشديد.

الأسئلة

- س١: ما حكم الاستهزاء بالدين مع الاستدلال على ذلك؟
- س٢: ما سبب الاستهزاء بالدين مع ذكر الدليل؟
- س٣: اذكر خمس صور من صور الاستهزاء بالدين.

(١) المشاهد: القبر (سنة) (٢) مصحح القرآن (١٩١٤: ١٤١٥: ١٤١٦)

التشريع حق لله تعالى:



تشريع الأحكام التي يسير عليها العباد في عباداتهم ومعاملاتهم وسائر شؤونهم والتي تفصل النزاع بينهم وتنهي الخصومات حق لله تعالى رب الناس ومخالق الخلق، قال تعالى:

﴿الْأَلَهُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١).

وهو الذي يعلم ما يصلح عباده فيشرعه لهم، فيحكم ربوبيته لهم بشرع لهم، ويحكم عبوديتهم له يتقبلون أحكامه، والمصلحة في ذلك عائدة إليهم، قال تعالى:

﴿إِنْ تَرَعْتُمْ فِي شَيْءٍ مَقْرَدًا إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (١٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾ (١٣).

فالتحليل والتحرير حق لله تعالى لا يجوز لأحد أن يشاركه فيه، قال تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي عَلَيْهِ وَالِدُمْ لِقَاءَ إِنْ شِئْتُمْ وَإِنْ أَسْلَمْتُمْ إِلَى أُولِيائِهِمْ لِيُحْكُمُوا فِيكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ لَكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ لَكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ لَكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ (١٤).

فجعل سبحانه وتعالى طاعة الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرم الله شركاً به سبحانه.

فيجب على المسلم أن يحذر من التساهل في إطلاق التحليل والتحرير بغير علم ودليل، قال تعالى:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْسِكُمْ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ﴾ (١٥).

(١١) الآية (١١) من سورة النساء.

(١٢) الآية (١٢) من سورة الاحزاب.

(١٣) الآية (١٣) من سورة الانعام.

(١٤) الآية (١٤) من سورة المائدة.

(١٥) الآية (١٥) من سورة النحل.

وقال تعالى في التحذير من القول بلا علم في دين الله ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ (١).
واستكر سبحانه أن يتخذ العباد مشرعاً غيره فقال: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ (٢).

حكم قبول تشريع غير الله:

فمن قبل تشريعاً غير تشريع الله علماً بذلك مختاراً له غير مكره أو مضطر إليه فقد أشرك بالله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمِنْ أَحْسَنِ مِمَّا أَلَّهِمْ حُكْمًا فَتُؤْخَذُونَ ﴾ (٣). ولا يجوز لمسلم أن يطيع أحداً في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله؛ لقوله تعالى: ﴿ أَفَكَذَّبُوا الْحِكْمَ الَّتِي كُتِبَتْ لَهُمْ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَةَ ﴾ (٤). ولما سمع علي بن حاتم رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية، قال عدي: إنهم لم يعبدوهم، فقال رسول الله ﷺ: «بلى إنهم حرّموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم» (٥). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهؤلاء الذين اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً- حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله- يكونون على وجهين: أحدهما: أن يعلموا أنهم بدّلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً - وإن لم يكونوا يصلّون لهم ويسجدون لهم- فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين شركاً حيث اعتقد ما قاله ذلك، دون ما قال الله ورسوله. والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما الطاعة في المعروف». وقال ﷺ: «على المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية».

(١) الآية (١٣٣) من سورة الأعراف.

(٢) الآية (١١١) من سورة الشورى.

(٣) الآية (٢٠١) من سورة المائدة.

(٤) الآية (٢٤١) من سورة النور.

(٥) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سرور النبوة، حديث رقم (٣٠٩٥) وقال: حسن طريفاً، والإمام أحمد وبعثه الألباني.

وقال ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(١). وقال ﷺ: «من أصركم بمعصية الله فلا تطيعوه»^(٢).

وأما الأنظمة التي ينهها ولاه الأمر ولم يكن فيها مخالفة لأوامر الله ورسوله مما يقصد بها تنظيم أمور الرعية بما يجلب لهم المصالح أو يدفع عنهم المفاسد ويحفظ حقوقهم، فليس بمنهي عنه شرعاً، ولا يدخل في تشريع ما لم يأذن به الله، ويلزم الرعية السمع والطاعة فيه وتعد مخالفتها معصية.

وقد ذكر ابن القيم أن السياسة الشرعية هي كل فعل يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول ﷺ ولا نزل به وحي^(٣).

الأسئلة

س ١: من الذي يستحق أن يشرع الأحكام وما الدليل على ذلك؟

س ٢: أكمل ما يأتي:

(١) جعل سبحانه وتعالى طاعة الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرم.....

(ب) من قبل تشريع الله تعالى بذلك غير جاهل، مختاراً له غير مكره أو مضطر إليه.....

(ج) أن ما لم يشرعه الله ولا رسوله في السياسة والحكم بين الناس مما يخالف ما شرعه الله ورسوله

فهي حكم.....

(د) من أطاع مخلوقاً في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فلا يخلو من وجهين اذكرهما:

.....

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٧-٧١-٧٢.

(٢) «الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية» الصفحة ١٢٣.

الحكم بغير ما أنزل الله

من مقتضى الإيمان بالله تعالى وعبادته الخضوع لحكمه والرضا بشرعه والرجوع إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ عند الاختلاف في الأقوال وفي الأصول وفي الخصومات وفي الدماء والأموال وسائر الحقوق، فإن الله هو الحكم وإليه الحكم، فيجب على الحكام أن يحكموا بما أنزل الله، قال تعالى في حق الولاة:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (١).

ويجب على الرعية أن يتحاكموا إلى ما أنزل الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلِذَلِكَ الْأَمْرُ بِتَحْكُمٍ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٢).

التحاكم إلى غير ما أنزل الله ينافي الإيمان:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ شُرُكِهِمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ كَبِيرٌ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدِّينَ بِالْهَيْبَةِ وَالنَّكْرِ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ شُرُكِهِمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ صَٰغِرٌ أُولَٰئِكَ سَنَجْزِيهِمْ أَجْرًا كَثِيرًا بِمَا كَانُوا فِي شَرِكٍ﴾ (٣).

إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يَأْمُرُونَكَ بِشَيْءٍ مِمَّا شَعَرْتَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٤).

(١) الآية: (٢٥٤) من سورة النساء.

(٢) الآية: (٦٠) من سورة النساء.

(٣) الآية: (١٠٦) من سورة النساء.

(٤) الآية: (١٠٦) من سورة النساء.



المتحاكم إلى غير شرع الله له ثلاث حالات:

الأولى: من تحاكم إلى غير شرع الله رغبة فيه ويرى أن ذلك سائع وهو مختار غير مكروه فهذا الفعل كفر لا يجتمع مع الإيمان.

الثانية: أن يعتقد وجوب التحاكم إلى شرع الله - عز وجل - لكنه تحاكم إلى غيره لهُوى أو مصلحة لأحد أو لمصلحة يطلبها مع إقراره أنه ارتكب معصية يستحق معها العقوبة، فهذا ينافي الإيمان الواجب ولكنه لا ينفي الإيمان بالكلية، أو يعني زوال الإيمان بالكلية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند قوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية: (فمن لم يلتزم بتحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزماً بحكم الله ورسوله باطناً وظاهراً ولكن عصى واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة)^(١).

الثالثة: من تحاكم إلى غير شرع الله مكرهاً أو مضطراً أو جاهلاً فلا يدخل في أحكام الوعيد المتعلقة بمن تحاكم إلى غير شرع الله^(٢). لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.



عموم التحاكم بما أنزل الله في جميع مواطن النزاع:

ولا بد من الحكم بما أنزل الله والتحاكم إليه في جميع موارد النزاع في الأقوال الاجتهادية بين العلماء، وفي المرافعات والخصومات في سائر الحقوق لا في الأحوال الشخصية فقط كما في بعض الدول التي تنسب إلى الإسلام، ولا يقبل من الأحكام إلا ما دل عليه الكتاب والسنة من غير تعصب لمذهب ولا تحيز لإمام.

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٣١).

(٢) مثل الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله: ما حكم التحاكم إلى الحاكم الذي تحكم بالقوانين الوضعية؟
جواب: هذا الإمكان لا يتحاكم إليها، وإنما إذا كان لا يمكن أن يستخلص منه إلا من طريقها فلا حرج عليه
(فتاوى ورسائل الشيخ عبدالرزاق عفيفي، الصفحة ٣١٤ سؤال رقم ١٤٠).



حكم من حكم بغير ما أنزل الله:

الحكم بغير ما أنزل الله نوعان:

النوع الأول: يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً مخرجاً من الملة إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان بحكم الله واعتقد أن غيره من القوانين والنظم الوضعية أحسن منه وأنه لا يصلح لهذا الزمان أو أن تطبيق بعض الحدود فيه قسوة ووحشية.

النوع الثاني: يكون كفراً غير مخرج من الملة إذا اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاصي ويسمى كافراً كفراً أصغر.

كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير الآية ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١) قال: إنه ليس بالكفر الذي تذهبون إليه، إنه ليس كفراً ينقل عن الملة هو كفر دون كفر^(٢). وقال عطاء كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق. وقال طاووس إنه ليس بكفر ينقل عن الملة^(٣).

بخلاف ما لو جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطئ وله أجر على اجتهداده، وخطؤه مغفور^(٤).

سئل الشيخ ابن باز - رحمه الله - كما في رسالة «حوار حول مسائل التكفير» (ص/ ٢٠-٢٢) هذا السؤال: هل تبديل القوانين يعدُّ كفراً مخرجاً من الملة؟

فكان جوابه رحمه الله: «..... إذا استباح الحكم بقانون غير الشريعة يكون كافراً كفراً أكبر، أما إذا فعل ذلك لأسباب خاصة عاصياً لله من أجل الرشوة، أو من أجل إرضاء فلان أو فلان، ويعلم أنه محرم يكون كفراً دون كفر».

كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. ﴿الْمُفْسِقُونَ﴾، ﴿الْمُتَقِفُونَ﴾ قال: ليس كمن كفر بالله، ولكن كفر دون كفر.

(١) الآية (٤٤) من سورة المائدة.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين.

(٣) ذكرهما ابن كثير في التفسير ١٢٠/٣. (٤) شرح العقيدة ص ٣١٢-٣١٤.



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإن الحاكم إذا كان ديناً لكنه حكم بغير علم كان من أهل النار، وإن كان عالماً لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه كان من أهل النار، وإذا حكم بلا عدل ولا علم أولى أن يكون من أهل النار^(١).

الأسئلة

س١: هل يجتمع التحاكم إلى غير ما أنزل الله مع الإيمان مع الاستدلال على ذلك؟

س٢: هل يكفي الحكم في بعض موارد النزاع أو القضايا بما أنزل الله كالأحوال الشخصية مع ترك جوانب أخرى يتحاكم فيها إلى غير شرع الله؟

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/٣٨٨

الانتماء إلى المذاهب الإلحادية مع الاعتقاد بأصولها المخالفة للدين كاليهودية والعلمانية وغيرهما ردة عن دين الإسلام، إذا كان المنتسب يعلم بمخالفة أصولها وقواعدها لدين الله وضررها على الإسلام والمسلمين.

وقد أمر الله بالانتماء إلى المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١).
وأما هذه المذاهب الإلحادية فمذاهب فاسدة؛ لأنها مؤسسة على الباطل، فالعلمانية تفصل الدين عن الحكم. والشيوعية تنكر وجود الخالق سبحانه وتعالى وتُحارب الأديان السماوية.

أما انتماء المسلم لوطنه وقومه وحبّه لهم وولاؤه ونصيحته لهم واجتهاده فيما ينفعهم ويحقق اجتماع كلمتهم فلا يتنافى مع حبه لإخوانه المسلمين في أنحاء الأرض ولا يهدر حقوق الأخوة الإسلامية بينه وبين المسلمين قاطبة، وفي هذا رد عملي على أولئك الذين يسعون إلى تفريق المسلمين إلى جماعات وأحزاب لا يجوز للمسلم أن يتعصب لها، لأن الإسلام يرفض العصبية والتعصبات الجاهلية يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَمَ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُمْ فَذَرُوا أَهْلَ بَيْتِهِمْ وَبَنَاتَهُمْ وَأَخْرَجُوا مِنْ دُونِ الْكَلْبَةِ وَكَلَّافُوا﴾ (١٢).

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية، ومن خرج على أمي يضرب برها وفاجرهما ولا يتحاش عن مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه) (١٣) وعنه أيضاً قال: قال -صلى الله عليه وسلم-: (قد أذهب الله عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن فقي وفاجر شقي، والناس بنو آدم وآدم من تراب) (١٤).

أثر الحزبيات في تفريق المسلمين:

الأصل أن المسلمين أمة واحدة كما أخبر الله عز وجل ﴿وَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَكَّلَهُ بِالدِّينِ﴾ (١٥).

(١١) الآية (١١٨) من سورة التوبة.

(١٢) الآية (١٣٢) من سورة النحل.

(١٣) رواه مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند طغيان الكفار والفساد، وأما قوله (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية) رواه الترمذي في كتاب الفتن باب فتن الكفار والفساد، وأما قوله (قد أذهب الله عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن فقي وفاجر شقي، والناس بنو آدم وآدم من تراب) رواه الترمذي في كتاب الفتن باب فتن الكفار والفساد.

فلا يجوز أن يتفرق المسلمون تحت شعارات حزبية أو عصبية أو مادية أو غيرها-ولو تسمت بالإسلام- فيعادي بعضهم بعضاً ولا يوالي أحدهم ولا يحب إلا من كان منتصباً إلى حزبه أو جماعته، فتراه يستيح غيبة مخالفه وسوء الظن به، ولا شك أن ذلك مما نهى الله عنه في قوله عز وجل: ﴿وَالْتَصِبُوا بِهِمْ﴾ (الحجرات: ١٠) وأما ما لا يفرقوا والآن كما علمت لكم لقد أفلحتم فلو كنتم فاسقين لم يكن بينكم وبينهم إخوان وأنتم عن شفاعتهم من النار فأندكم بها كذا الآية بينكم بالله تعالى بعدون ﴿(١)﴾ وقوله ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢) من الذين كفروا وينهم وكانوا أشيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ﴿(٣)﴾ فالمسلمون يجمعهم الصراط المستقيم وعماده الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٤).

وحسب المسلمين من آثار الحزبية والتفرق إلى جماعات وأحزاب؛ أن تذهب ريعهم ويطلع فيهم عدوهم وتضعف شوكتهم وتتفرق صفوفهم وتبدد طاقاتهم وتختلف كلمتهم ويضعف ولاء بعضهم لبعض وغيرها من المفاسد التي هي من أهم أسباب ما آل إليه حال المسلمين اليوم.

وأصبحت شعوبه تندفع اندفاعاً غريباً إلى إحياء هذه العصبية التي أماتها الإسلام والتغني بها وإحياء شعائرها والافتخار بعهدتها الذي تقدم على الإسلام وهو الذي يلح الإسلام على تسميته بالجاهلية، وقد من الله على المسلمين بالخروج عنها وحثهم على شكر هذه النعمة.

والطبيعي من المؤمن أن لا يذكر جاهلية تقادم عهدا أو قارب إلا بمقت وكراهية وامتناع وأقشعرار، وهل يذكر السجين المذبذ الذي يطلق سراحه أيام اعتفاله وتعذيبه وامتثانه إلا وعثرته قُشْعْرِيَّةٌ، وهل يذكر البريء من علة شديدة طويلة أشرف منها على الموت أيام سقمه إلا وانكشف باله واتَّضَعَ لونه^(١). والواجب أن يعلم أن هذه الخزيات عذاب بعث الله على من أعرض عن شرعه ونكر لدينه كما قال تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِعَارًا وَيُؤَيِّدَ بَعْضَكُمْ بِأَخِيضٍ ﴾^(٢)

والتعصب للحزبيات بسبب رفض الحق الذي مع الآخرين كحال اليهود الذي قال الله فيهم:

﴿وَإِذْ أَيْدِيَهُمْ دَارِسُوا مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ فَأَلَا تَأْمِنُونَ ﴿٦٧﴾ إِنَّمَا آتَاهُم بآيَاتِهِ لِيُعَذِّبَهُمُ بِاللَّغْوِ إِنْ كَانُوا مُصِيفِينَ ﴿٦٨﴾﴾ (٦)

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠)

(د) الذی یؤدی (۳۴-۲۵) من صورة القروض.

(٢١) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام.

(1) من جهة (أ) ولا لا شك لها) لا يرى نقص الطوى.

١٥١ الآية (١٧٢) من سورة الأنعام.

(2) الألف (45) عن سورة البقرة.

وكحال أهل الجاهلية الذي رفضوا الحق الذي جاءهم به الرسول ﷺ تعصباً لما عليه آباؤهم.
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِمْ﴾ (١).
ويريد أصحاب هذه الحزبيات أن يجعلوها بديلة عن الإسلام الذي مَنَّ الله به على البشرية.

الأسئلة

س١ : ما حكم انتماء من يدعي الإسلام إلى المذاهب الإلحادية مع الدليل على ذلك؟

س٢ : اكتب نبذة قصيرة عن كل من :

- ١ - الشيوعية ، ٢ - العلمانية ، ٣ - الرأسمالية .

س٣ : ما حكم الانتماء للأحزاب الجاهلية والقوميات العنصرية مع الدليل على ذلك؟

س٤ : ما أثر الحزبيات في تفريق المسلمين؟

(١) الآية (١٧٠) من سورة البقرة.

النظرة المادية للحياة

هناك نظرتان للحياة، نظرة مادية للحياة ونظرة صحيحة، ولكل من النظرتين آثارها.

(أ) فالنظرة المادية للحياة معناها:

أن يكون تفكير الإنسان مقصوراً في تحصيل ملذاته العاجلة ويكون عمله محصوراً في نطاق ذلك، فلا يتجاوز تفكيره ما وراء ذلك من العواقب ولا يعمل له ولا يهتم بشأنه ولا يعلم أن الله جعل هذه الحياة الدنيا مزرعة للآخرة، فجعل الدنيا دار عمل وجعل الآخرة دار جزاء، فمن استغل دنياه بالعمل الصالح ربح الدارين ومن ضيع دنياه ضاعت آخرته: ﴿خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(١).

قاله لم يخلق هذه الدنيا عبثاً بل خلفها لحكمة عظيمة، قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى

الْأَرْضِ رِزْقًا فَما يَسْلُوهُمْ إِنَّمَا يُمْنٌ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٣). أوجد سبحانه في هذه الحياة من المتع العاجلة والزينة الفاهرة من الأموال والأولاد والجاه والسلطان وسائر المستلذات ما لا يعلمه إلا الله.

فمن الناس - وهم الأكثر - من قصر نظره على ظاهرها ومفاساتها ومتع نفسه بها ولم يتأمل في سرها، فانشغل بتحصيلها وجمعها والتمتع بها عن العمل لما بعدها، بل أنكر أن يكون هناك حياة غيرها كما قال تعالى: ﴿قَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾^(٤).

الوعيد لأصحاب النظرة المادية:

وقد توعد الله تعالى من هذه نظرتيه للحياة فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢﴾﴾^(٥).

(١) الآية ٦٦ من سورة الحج.

(٢) الآية ٢ من سورة البقرة.

(٣) الآية ١٧٩ من سورة الكهف.

(٤) الآية ٢٨ من سورة الأنعام.

(٥) الآية ١-٢ من سورة يوسف.

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُولَفْ إِلَيْهَا أَسْمَاءَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَخْتَلِفُونَ﴾ (٥) أولئك الذين خسروا أنفسهم في الآخرة (إلا النكاح وحكمه ما صنعوا فيها ولا تعلل ما حسبوا أن يفعلوه) (٦) (١٤)

وهذا الوعيد يشمل أصحاب هذه النظرة سواء أكانوا من الذين يعملون عمل الآخرة يريدون به الحياة الدنيا كالمنافقين والمرايين بأعمالهم، أم كانوا من الكفار الذي لا يؤمنون بسبعث ولا حساب كحال أهل الجاهلية والمذاهب الهدامة من رأسمالية وشيوعية وعلمانية إلحادية، وأولئك لم يعرفوا قدر الحياة ولا تعدوا نظرتهم لها أن تكون كنظرة البهائم. بل هي أصل سبيلا، لأنهم أغروا عقولهم وسخروا طاقاتهم وضيعوا أوقاتهم فيما لا يبقى لهم ولا يبقون له، ولم يعملوا لمصيرهم الذي ينتظرهم ولا بد لهم منه، والبهائم ليس لها مصير ينتظرها وليس لها عقول تفكر بها بخلاف أولئك، ولهذا يقول تعالى فيهم:

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ١١

العلم الحقيقي:

وقد وصف الله أهل النظرة المادية بعدم العلم قال تعالى :

﴿ وَعَدْنَاهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٠) يَلْعَنُونَ ظَنُّهُمْ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا هِيَ الْآخِرَةُ هُمْ سَاهُونَ (٥١) فَيُفْهِمُ وَإِنْ كَانُوا أَهْلَ خَبِيرَةٍ فِي الْمَخْتَرَعَاتِ وَالْمَصْنَعَاتِ فَيُفْهِمُ جَهَالًا لَا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يُوصَفُوا بِالْعِلْمِ ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُمْ لَمْ يَتَجَاوَزْ ظَاهِرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا عِلْمٌ نَاقِصٌ لَا يَسْتَحِقُّ أَصْحَابُهُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْأَسْمُ الشَّرِيفُ فَيُقَالُ الْعُلَمَاءُ ، وَإِنَّمَا يُطْلَقُ هَذَا عَلَى أَهْلِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٥٢) .

ومن النظرة المادية للحياة الدنيا ما ذكره الله في قصة قارون وما آتاه الله من الكنوز:

﴿فخرج من قومه في وجهه قال الربك بريدك السبوة الذنا بليت لك مثل ما أوفى قدوة الذنا وعظ عظيم﴾ (١٥٢)
فتمنوا مثله وغبطوه ووصفوه بالحظ العظيم بناء على نظرتهم المادية. وهذا كما هو الحال الآن في الدول الكافرة وما عندهم من تقدم صناعي واقتصادي فإن ضعف الإيمان من المسلمون ينظرون إليهم نظرة إعجاب دون نظر إلى ما هم عليه من الكفر وما ينتظرهم من سوء المصير فتبعتهم هذه النظرة الخاطئة إلى تعظيم الكفار واحترامهم في نفوسهم والنسب بهم في أخلاقهم وعاداتهم السيئة، ولم يقلدوهم في الجِد وإعداد القوة والشيء النافع من المخترعات والصناعات.

(١١) ١١٢٤-١١٢٥ من سورة البقرة

(3) $\Delta G_{\text{total}}(V=V_0)$ من معادلة التوازن -

(د) الاية (٨٤) من سورة القصص:

(7) الآية (11) من سورة البقرة:

$$- \frac{1}{2} \frac{d^2}{dt^2} \left(\frac{1}{\rho} \right) = \frac{1}{\rho} \frac{d^2}{dt^2} \left(\frac{1}{\rho} \right) \quad (4)$$



هي أن يعتبر الإنسان ما في هذه الحياة من مال وسلطان وقوى مادية وسيلة يستعان بها لعمل الآخرة فالدنيا في الحقيقة لا تدم لذاتها، وإنما يتوجه المدح والذم إلى فعل العبد فيها فهي قنطرة ومعبر للآخرة ومنها زاد الجنة وخير عيش يناله أهل الجنة إنما حصل لهم بما زرعوه في الدنيا.

فهي دار الجهاد والصلاة والصيام والإنفاق في سبيل الله ومضمار التسابق إلى الخيرات يقول الله تعالى لأهل الجنة: ﴿كُلُوا وَشَرِبُوا ههنا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (١١). يعني الدنيا.

الأسئلة

س١: ما معنى النظرة المادية للحياة وما مفسدها؟ وما النظرة الصحيحة للحياة مع الأدلة على ذلك؟

س٢: هل الدنيا تدم لذاتها، ولماذا؟

س٣: بم توعده الله أصحاب النظرة المادية للحياة مع الدليل؟

س٤: ما الدليل على نفي الله العلم عن أصحاب النظرة المادية، وكيف تجمع بين ذلك وبين خيرتهم في الصناعات والمخترعات؟

س٥: ما المقصود بالعلم الحقيقي مع الدليل؟

(١١) الآية (٢٤) من سورة النحل.

الفصل الدراسي الثاني

الحلف بغير الله والتوسل والاستعانة بالخلق

الفصل
السايع
عشر

(١) الحلف بغير الله :



(١) الحلف: هو اليمين- وهي تأكيد الحكم بذكر معظّم على وجه مخصوص . وهو تعظيم للمحلول به ، وهذا التعظيم حق لله تعالى لا يجوز الحلف بغيره ، فقد أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بأسمائه وصفاته ، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره^(١).

حكم الحلف بغير الله:



والحلف بغير الله شرك؛ لما روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)^(٢) وهو شرك أصغر، إلا إذا كان المحلول به معظماً عند الخالف إلى درجة عبادته له فهذا شرك أكبر، كما هو الحال اليوم عند عباد القبور فإنهم يخافون من يعظمون من أصحاب القبور أكثر من خوفهم من الله وتعظيمه بحيث إذا طلب من أحدهم أن يحلف بالولي الذي يعظمه لم يحلف به إلا إذا كان صادقاً، وإذا طلب منه أن يحلف بالله حلف به وإن كان كاذباً، فالحلف تعظيم للمحلول به ولا يليق إلا بالله ويجب توقيف اليمين بالله فلا يكسر منها قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْلَعُ كُلَّ حَلَالٍ مِنْهُمْ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَأَحْضَرُوا أَيْمَانَكُمْ﴾^(٤) أي: لا تحلفوا إلا عند الحاجة وفي حالة الصدق والبر، لأن كثرة الحلف والكذب فيه يدلان على الاستخفاف بالله وعدم التعظيم له وهذا يناهض كمال التوحيد، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) وجاء فيه: (ورجل يجعل الله بضاعته لا يشترى إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه)^(٥).

ففيه شدة الوعيد على كثرة الحلف مما يدل على تحريمه احتراماً لاسم الله تعالى وتعظيماً له سبحانه وكذلك يحرم الحلف بالله كاذباً وقد وصف الله المنافقين بأنهم يحلفون على الكذب وهم يعلمون، فتلخص من ذلك:

١ - تحريم الحلف بغير الله تعالى كالحلف بالآمانة أو الكعبة أو بالنبي ﷺ وأن ذلك شرك.

(١) الآية (١٠) من سورة المائدة.

(٢) تقدم تفريجه في موضوع الشرك ص ١٤.

(٣) عائشة ابن قاسم على كتاب التوحيد ص ٣-٢.

(٤) رواه الطبراني في الكبير رقم ١١٦٦ والصغير ج ٢ ص ٢١ بسند صحيح.

(٥) الآية (٨٩) من سورة المائدة.

٢ - تحريم الخلف بالله كاذباً متعمداً.

١٣ - تحريم كثرة الحلف بالله ولو كان صادقا إذا لم تدع إليه حاجة لأن هذا استخفاف بالله سبحانه .

٤ - جواز الحلف بالله إذا كان صادقاً وعند الحاجة.



(ب) التوسل بالخلق إلى الله تعالى:

التوسل: هو النظر إلى الشيء والتوصل إليه، والوسيلة القريبة، قال الله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الْوَسِيلَ ﴾ ^{١١} إلى القرية إليه سبحانه بطاعته وإتياء مرضاته.



أقسام التوسل :

الموسى قميان :

القسم الأول - توسل مشروع، وهو أنواع:

النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته كما أمر الله تعالى بذلك في قوله:

﴿لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الدِّينَ يُعْجِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُخْرِجُونَ مَا كَانُوا بِإِقْبَالٍ﴾ (٢١)

النوع الثاني: التوصل إلى الله تعالى بالإيمان والأعمال الصالحة التي قام بها المتوصل كما قال تعالى

ع: أهل الإيمان: ﴿وَمَا نَسَأُ النَّاسَ عَنْهُمَا مُرَادًا يَأْتِيهِمْ أَفْئِدَتُهُنَّ لِلْإِيمَانِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِكُمْ فَتَأْتُوا بِنَا فَأَحْمِلُوا لَنَا ذُنُوبَنَا

وَمُسْتَقِيمًا مِّنْ مَّسَاجِدَنا وَتُوقَفُ مَعِ الْأَشْيَارِ (١٣)

وكما في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فندت عليهم باب الغار فلم يستطيعوا الخروج

فَتَوَسَّلُوا إِلَى اللَّهِ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ فَفُزَّحَ اللَّهُ عَنْهُمْ (٤).

النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بتوحيده كما توسل يونس عليه السلام:

فَكَأَيُّ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مَبْعُوثُكَ ﴿٥١﴾

النوع الرابع: انتمس إلى الله بإظهار الضعف والحاجة والافتقار إلى الله كما قال أيوب عليه السلام:

﴿الْمُسْقُونَ الصُّرُوفَاتِ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ﴾ (٦٧).

(١) الآية (٣٥) من سورة المائدة، (٢) الآية (١٨٠) من سورة الأعراف، (٣) الآية (٩٧١) من سورة آل عمران.

12. *Journal of the American Medical Association*, 279, 2003, 2323-2328.

$\Gamma = \{g_1, g_2, \dots, g_n\}$ هي مجموعة من العناصر في G ، حيث $n \geq 1$.

$$A_1 = \begin{pmatrix} 1 & 0 & 0 \\ 0 & 1 & 0 \\ 0 & 0 & 1 \end{pmatrix}, \quad A_2 = \begin{pmatrix} 1 & 0 & 0 \\ 0 & 1 & 0 \\ 0 & 0 & 1 \end{pmatrix}$$
$$A_{\text{eff}}^{\text{eff}} = \frac{A_{\text{eff}}}{1 + \frac{A_{\text{eff}}}{A_{\text{eff}}^{\text{eff}}}}$$

النوع الخامس: التوسل إلى الله بدعاء الصالحين الأحياء، كما كان الصحابة إذا أجدبوا طلبوا من النبي ﷺ أن يدعو الله لهم ولما توفي صاروا يطلبون من عمه العباس رضي الله عنه فيدعو لهم ^(١).

النوع السادس: التوسل إلى الله بالاعتراف بالذنب: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْنِنِي﴾ ^(٢) وقال تعالى حكاية عن آدم وزوجته: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّنُتَغْفِرَ لَنَا وَرَحْمَتَاكَ كَوْنٌ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾ ^(٣).

القسم الثاني - توسل ممنوع:

وهو التوسل بما عدا الأنواع المذكورة في التوسل المشروع كالتوسل بطلب الدعاء والشفاعة من الأموات، والتوسل بجاه النبي ﷺ، والتوسل بذوات المخلوقين أو حقهم، وتفصيل ذلك كما يلي:

١- طلب الدعاء من الأموات:

وهذا لا يجوز، لأن الميت لا يقدر على الدعاء كما كان يقدر عليه في الحياة، وطلب الشفاعة من الأموات لا يجوز؛ لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ومن يحضرتهما من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حياً كالعباس ويزيد بن الأسود رضي الله عنهما، ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا بالنبي ﷺ لا عند قبره ولا عند غيره، بل عدلوا إلى البديل كالعباس ويزيد، وقد قال عمر رضي الله عنه: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل بعم نبينا فاسقنا، فجعلوا هذا بدلاً عن ذلك لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه.

وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره فيتوسلوا به ^(٤) يعني لو كان جائزاً، فتركهم لذلك دليل على عدم جواز التوسل بالأموات لا بدعائهم ولا بشفاعتهم فلو كان طلب الدعاء منه والاستشفاع به حياً وميتاً سواء، لم يعدلوا عنه إلى غيره ممن هو دونه.

٢- التوسل بجاه النبي ﷺ أو بجاه غيره:

حكمه: لا يجوز؛ لأنه لا يصح فيه دليل وهو عبادة، والعبادات لا تثبت إلا بدليل صحيح صريح. وأما الحديث الذي فيه: (إذا سألتكم الله فاسألوه بجاهي فإن جامي عند الله عظيم) فهو حديث مكذوب.

(١) رواه البخاري، كتاب الطهارة، باب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء (١) فاعلوا ج ١ ص ١٢، والشيخ العبداء، باب داء العباس من جود الخلفاء ج ١ ص ٩.

(٢) الآية (١١) من سورة القصص. (٣) الآية (٢٢) من سورة الأعراف.

(٤) مسند البخاري (٣١٨/١-٣١٩).

ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها. ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث^(١)، وإذا كان هذا في حق النبي ﷺ وهو أشرف الخلق فغيره من باب أولى.

٣- التوسل بذات المخلوقات:



حكمه: لا يجوز؛ لعدم ورود ما يدل على ذلك، والتوسل عبادة والعبادة يتوقف فيها عند النص، ثم إن التوسل بذات المخلوق إن كان يقصد بالباء في قوله: أسألك بذات فلان القسم فهو إقسام به على الله تعالى، وإذا كان الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز ويُعدُّ شركاً كما في الحديث: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)^(٢) فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق جل وعلا. وإن كانت الباء للبية فالله سبحانه لم يجعل السؤال بالمخلوق سبباً للإجابة ولم يشرعه لعباده.

٤- التوسل بحق المخلوق:



لا يجوز لأمرين: الأول: أن الله سبحانه لا يجب عليه حق لأحد، وإنما هو الذي يتفضل سبحانه على المخلوق بذلك كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) فكون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق فضل وإنعام، وليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق. الثاني: أن هذا الحق الذي تفضل الله به على عبده هو حق خاص به لا علاقة لغيره به فإذا توسل به غير مستحقه كان توسلاً بأمر أجنبي لا علاقة له به وهذا لا يجديهِ شيئاً. وأما الحديث الذي فيه: (أسألك بحق السائلين) فهو حديث لم يثبت لأن في إسناده عطية العوفي وهو ضعيف مجمع على ضعفه كما قال بعض المحدثين، وما كان كذلك فإنه لا يحتاج به في هذه المسألة المهمة من أمور العقيدة ثم إنه ليس فيه توسل بحق شخص معين وإنما فيه التوسل بحق السائلين عموماً وحق السائلين الإجابة كما وعدهم الله بذلك. وهو حق أوجبه على نفسه لهم لم يوجبه عليه أحد فهو توسل إليه بوعده الصادق لا بحق المخلوق.

(ج) حكم الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق:



الاستعانة: طلب العون والمؤازرة في الأمر.
والاستغاثة: طلب الغوث وهو إزالة الشدة.

(١) مجموع الفتاوى ١/٣٠٩، (٢) سنن ترمذي ج ١ ص ١١٤.

(٣) الآية ١٧٧ من سورة الروم.

الأسئلة

س ١ : عرف الحلف ، وما حكم الحلف بغير الله مع ذكر الدليل على ذلك ؟

س ٢ : ما حكم الإكثار من الحلف ، وما حكم الحلف بالله كاذباً مع الاستدلال ؟

س ٣ : عرف التوسل ، وما المراد بالوسيلة مع الدليل على ذلك ؟

س ٤ : اذكر أنواع التوسل المشروع من خلال النصوص والآثار التالية :

١ - قال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا سُبْحَانَكَ ﴾

٢ - قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَسْئَلْهُمْ رَبُّهُمْ أَمْ لِلنَّاسِ إِبْرَاهِيمَ ﴾

٣ - حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدت عليهم باب الغار فلم يستطيعوا الخروج

٤ - قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾

٥ - قال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ الْوَعْدَ الْحَسَنَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

٦ - كان الصحابة إذا أجدبوا طلبوا من النبي أن يدعو لهم ولما توفي صاروا يطلبون من عمه العباس فيدعو لهم .

س ٥ : بين الحكم فيما يأتي مع التعليل والاستدلال :

(أ) طلب الدعاء من الأموات . (ج) التوسل بذات المخلوقين .

(ب) التوسل بجاء النبي ﷺ . (د) التوسل بحق المخلوق .

س ٦ : ما المراد بالاستعانة والاستغاثة ؟

س ٧ : بين الحكم فيما يأتي مع الاستدلال .

(أ) الاستغاثة والاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه .

(ب) الاستغاثة بالأموات .

(ج) الاستعانة بالأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله .



حسن الظن بالله من واجبات التوحيد:

لا يتم إيمان العبد وتوحيده حتى يعتقد جميع ما أخبر الله به من أسمائه وصفاته وكماله، وتصديقه بكل ما أخبر به، وأن ما وعده به من نصر الدين وإحقاق الحق وإبطال الباطل سيقع. وكل ظن ينافي ذلك فإنه من قنن الجاهلية المنافية للتوحيد؛ لأنها سوء ظن بالله وتنقص لكماله وتكذيب خبره وشك في وعده.

وقد ذم الله من أساء الظن به، وأخبر عن المشركين أنهم يظنون به ظن السوء؛ قال تعالى: ﴿وَيَعَذِّبُكَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ﴾ **بِاللهِ ظَنُّكَ السُّوءُ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ^(١).

ووصف المنافقين بأنهم يظنون به غير الحق فقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ كَلَّا لَئِنْ آتَانَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْنَا إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ ^(٢). قال ابن القيم في تفسير هذه الآية: وقد فُسِّرَ هذا الظن الذي لا يليق بالله بأنه سبحانه لا يتصر رسوله وأن أمره سبب محمل. وفُسِّرَ بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره ولا حكمة له فيه. ففُسِّرَ بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله ويظهره على الدين كله. وهذا هو ظن السوء المذكور في آية الفتح.

وإنما كان هذا ظن السوء، وظن الجاهلية، وظن غير الحق لأنه ظن لا يليق به سبحانه ولا بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يدبيل الباطل على الحق إدالة مستمرة بضمحل معها الحق أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بخيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماء وصفاته وموجب حكمته وحمده، فليعتز اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

(١) الآية (٦٦) من سورة الفتح.

(٢) الآية (١٥٤) من سورة آل عمران.

ثم ذكر ابن القيم - رحمه الله - صوراً من سوء الظن بالله - غير ما سبق - منها:

- ١ - من قَنَط من رحمته، وأيس من رَوْحِه فقد ظن به ظن السوء.
- ٢ - من ظن به أن يترك خلقه سدى، معطلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رسلاً ولا ينزل عليهم كتبه بل يتركهم هملاً كالأنعام فقد ظن به ظن السوء.
- ٣ - من ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه، والمسيء بإساءته، ويبين خلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين، فقد ظن به ظن السوء.
- ٤ - من ظن أنه لا سمع له ولا بصر، ولا علم له ولا إرادة، وأنه لم يكلم أحداً من الخلق ولا يتكلم أبداً، وأنه ليس فوق سماواته على عرشه بائناً من خلقه فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.
- ٥ - من ظن أن له ولداً أو شريكاً أو أن أحداً يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه ينقربون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيدعونهم ويحبونهم كحبه ويخافونهم كخوفه فقط ظن به أقبح الظن وأسوأه.
- ٦ - من ظن بالله أن يخيب من تضرع إليه وسأله رغبة ورهبة واستعان به وتوكل عليه ولا يعطيه ما سأله، فقد ظن به ظن السوء، وظن به خلاف ما هو أهله.
- ٧ - من ظن به - سبحانه وتعالى - أن يسلط على رسوله محمد ﷺ أعداءه دائماً في حياته وبعد مماته. وأنه ابتلاه بهم لا يفارقونه، فلما مات استبدوا بالأمر دون وصية، وظلموا أهل بيته وسلبواهم حقهم، وكانت العزة والغلبة والقهر لأعدائه وأعدائهم دائماً من غير ذنب لأوليائه وأهل الحق، وهو يرى قهرهم لهم وغضبهم إياهم حقهم وتبديلهم دين نبيهم، وهو يقدر على نصره وأوليائه وحزبه ولا ينصرهم، أو أنه لا يقدر على ذلك، بل حصل هذا بغير مشيئته ولا قدرته - تعالى عن ذلك - ثم جعل المبطلين لدينه مضاجع في حفرته، تسلم أمته عليه وعليهم كل وقت فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

ولو فتشت من فتشته لرأيت عنده تعباً على القدر وملامة له، واقتراحاً عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سائل من ذلك:

فإن تنج منها تنج من ذي عزيمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً^(١)

(١) نقله العلامة ٣/٢٤٨-٢٤٧ باختصار - وراجع للاستزادة من الأمثلة على سوء الظن

الأسئلة

س١ : لماذا يحسن الظن بالله وسوء الظن به سبحانه .

س٢ : ممن يصدر سوء الظن بالله في الأصل؟ مع ذكر الدليل .

س٣ : بين ما هو سوء ظن من الأقوال التالية :

(أ) رجل رُزق مالا كثيراً فقال آخر : إنه رزق بغير إرادة الله .

(ب) لن ينصر الله المسلمين في هذا الحصر ولو تمسكوا بدينهم .

(ج) الحق والباطل في صراع فينتصر الحق تارة والباطل تارة .

(د) الله ما يحب لي الخير .

س٤ : بين الطريق الصحيح للسلامة من سوء الظن بالله .

من الأشياء التي يرتكبها بعض الناس بحكم العادة وهي مما يتفص التوحيد، ويسيء إلى العثيدة مسببة الدهر، ومسببة الريخ وما أشبه ذلك من إسناد الذم إلى المخلوقات فيما ليس لها فيه تصرف فيكون هذا الذم في الحقيقة موجهاً إلى الله - سبحانه وتعالى - لأنه الخالق المتصرف.

قال تعالى عن المشركين:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا أَعْيَانُ الْبَشَرِ وَمَا نَسُوتُمْ وَثِقَاتُ الْكُفْرِ إِلَّا أَعْيَانُ الْبَشَرِ وَمَا نَسُوتُمْ وَثِقَاتُ الْكُفْرِ إِلَّا أَعْيَانُ الْبَشَرِ وَمَا نَسُوتُمْ وَثِقَاتُ الْكُفْرِ إِلَّا أَعْيَانُ الْبَشَرِ﴾ (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار» (٢).

أقسام سب الدهر:



ينقسم سب الدهر إلى ثلاثة أقسام، هي:

- ١ - أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يعتقد بسببه الدهر أنه هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر؛ فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقد أن مع الله خالقاً؛ لأنه نسب الحوادث إلى غير الله، وكل من اعتقد أن مع الله خالقاً فهو كافر، كما أن من اعتقد أن مع الله إلهاً يستحق أن يعبد فهو كافر.
- ٢ - أن يسب الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده، فهذا محرم ولا يصل إلى درجة الشرك الأكبر.
- ٣ - أن يقصد الخبر المحض دون اللوم فهذا جائز، مثل: أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم أو برده وما أشبه ذلك؛ لأن الأعمال بالنيات، ومثل هذا اللفظ صالح لمجرد الخبر، ومنه قول لوط عليه السلام: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (٣).

وكان من شأن العرب في الجاهلية ذم الدهر وسبه عند النوازل، وتبعهم على هذا كثير من الفساق

(١) الآية ٢١ من سورة البقرة.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، حديث رقم ٤٨٦٥، وصحيح مسلم كتاب الآفات من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر حديث رقم (٢٢٤٦).

(٣) الآية ٧٧ من سورة هود.

ففي هذه الآية وصف الله المهاجرين بترك أوطانهم وأموالهم من أجل الله ونصرة دينه وابتغاء فضله ورضوانه، وأنهم صادقون في ذلك. ووصف الأنصار بأنهم أهل دار الهجرة والنصرة والإيمان الصادق ووصفهم بحبة إخوانهم المهاجرين وإيثارهم على أنفسهم ومواساتهم لهم وسلامتهم من الشح وبذلك حازوا على الفلاح.

هذه بعض فضائلهم العامة، وهناك فضائل خاصة ومراتب يُفَضَّلُ بها بعضهم بعضاً، رضي الله عنهم وذلك بحسب سببهم إلى الإسلام والجهاد والهجرة، قال الطحاوي - رحمه الله -: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نثيراً من أحد منهم ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير بذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر وتفاق وطيغان^(١).

تفاضل الصحابة:

أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة: أبو بكر ﷺ ثم عمر ﷺ ثم عثمان ﷺ ثم علي ﷺ، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم طلحة ﷺ والزبير ﷺ وعبد الرحمن بن عوف ﷺ وأبو عبيدة بن الجراح ﷺ وسعد بن أبي وقاص ﷺ وسعيد بن زيد ﷺ، ويُفَضَّلُ المهاجرون على الأنصار، وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان، ويفضل من أسلم قبل الفتح وقاتل على من أسلم بعد الفتح. قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِ هَٰؤُلَاءِ سَيَبْتَغُوا سَبِيلَ اللَّهِ وَلَهُمْ أَسْوَءُ الْآسَاءِ لَأَنَّهُمْ آمَنُوا مِن بَعْدِ قِتَالِكُمُ الْكُفَّارَ وَالْمُشْرِكِينَ وَلَٰكِنَّ عِدَّةَ الْهُنَىٰ وَأَنَّهُ يُفْتَنُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢).

مذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بين الصحابة من القتال والفتنة:

سبب الفتنة: تأمر اليهود على الإسلام وأهلهم فاندس فيهم مكرٌ عجيبٌ تظاهر بالإسلام كذباً وزوراً هو عبد الله بن سبأ اليهودي، فأخذ هذا اليهودي ينقث حقهده وسمومه ضد الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين: عثمان ﷺ وأرضاء، ويختلق التهم ضده، فالتف حوله من انخدع به من قاصري النظر وضعاف الإيمان ومحبي الفتنة، وانتهت المؤامرة بقتل الخليفة الراشد عثمان ﷺ مظلوماً، وعلى إثر مقتله حصل الاختلاف بين المسلمين وشبت الفتنة بتحريض من هذا اليهودي وأتباعه وحصل القتال بين الصحابة عن اجتهاد منهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: فلما قُتل عثمان ﷺ تفرقت القلوب وعظمت الكروب، وظهرت الأشرار وذلت الأخيار، وسعى في الفتنة من كان عاجزاً عنها، وعجز عن الخير والصالح من

(١) العهد الطحاوي مع شرحها لأن أبي القزوين ١٢٠.

(٢) الآية ١٠٧ من سورة الحديد.

كان يحب إقامتها، فبإيعاز أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو أحق الناس بالخلافة حينئذ وأفضل من بقي، لكن كانت القلوب مستفرقة، وثار الفتنة متوقدة، فلم تنفع الكلمة، ولم تستظم الجماعة، ولم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدونه من الخير ودخل في الفرقة والفتنة أقوام، وكان ما كان^(١).

ومذهب أهل السنة والجماعة في الاختلاف الذي حصل والفئة التي وقعت من جرائها الحروب بين الصحابة يتلخص في أمور:

الأمر الأول: أنهم يسكون عن الكلام فيما حصل بين الصحابة ويكفون عن البحث فيه، لأن طريق السلامة هو السكوت عن مثل هذا، ويقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

الأمر الثاني: الإجابة عن الآثار المروية في مساوئهم وذلك من وجوه:

الأول : أن هذه الآثار منها ما هو كذب قد افتراء أعدائهم ليسوهم سمعتهم.

الثاني : أن هذه الآثار منها ما قد زيد ونقص فيه وغير عن وجهه الصحيح ودخله الكذب، فهو محرف لا يلتفت إليه.

الثالث : أن ما صح من هذه الآثار-وهو القليل-هم فيه معذورون، لأنهم إما مجتهدون مصيئون، وإما مجتهدون مخطئون، فهو من موارد الاجتهاد الذي إن أصاب المجتهد فيه فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد والخطأ مغفور، لما في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر) (١٣).

الأمر الثالث: أنهم بشر يجوز على أفرادهم الخطأ فهم ليسوا معصومين من الذنوب بالنسبة للأفراد، لكن ما يقع منهم فله مكفرات عديدة، منها:

١ - أن يكون قد تاب منه، والتوبة تحقق السيئة مهما كانت، كما جاءت به الأدلة.

٢ - أن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم - إن صدر - قال تعالى:

﴿إِنْ أَحْبَبْتَ هَذِهِ الشَّيْئَاتِ﴾ ^(٤) . ولهم من الصحبة والجهاد مع رسول الله ﷺ ما يغمر الخطأ

البيروتية

(١) معبر الختوي (٢٨) / ٤-٣-٢-١

(١٩٨٥) : ١٠٧ من صور الختم.

(31) في (السلامة من) غزو من الغاصبي (32) لطيفي كذا: الإغصام بالكاف في نسخة من شعر الطاهر (33) العهد الغاصبي أو الغصبي (34) من (35) ونداء كذا: (الغصاة من) (36)

ایم الحاکم زواجہند فاطمات امی الخطا حنیف ۱۷۶۹ھ ۱۳۲۹ھ

$$L_{\text{eff}} = L_{\text{eff}}(V, \mathbf{u}, \mathbf{u}_t) = \int_{\Omega} \left(\frac{1}{2} \rho |\mathbf{u}_t|^2 - \frac{1}{2} \kappa |\nabla \mathbf{u}|^2 - \frac{1}{2} \mu |\nabla \mathbf{u}_t|^2 \right) dx$$

٣ - أنهم تضاعف لهم الحسنات أكثر من غيرهم ولا يساويهم أحد في الفضل وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون، وأن المدة من أحدهم إذا تصدق به أفضل من جبل أحد ذهباً إذا تصدق به غيرهم^(١) رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : وسائر أهل السنة والجماعة وأئمة الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة ولا القرابة ولا السابقين ولا غيرهم، بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم، والله تعالى يغفر لهم بالثوبة ويرفع بها درجاتهم ويغفر لهم بحسنات ماحية أو بغير ذلك من الأسباب^(٢).

من مسالك أهل البدع وأعداء الدين استغلال ما حدث بين الصحابة:

وقد اتخذ أعداء الله ما وقع بين الصحابة وقت الفتنة من الاختلاف والأقتال سبباً للوقعة فيهم والنيل من كرامتهم، وقد جرى على هذا المخطط الخبيث بعض الكُتّاب المعاصرين الذين يهرفون بما لا يعرفون فجعلوا أنفسهم حكماً بين أصحاب رسول الله ﷺ يصرون بعضهم ويخطئون بعضهم بلا دليل، بل بالجهل واتباع الهوى وترديد ما يقوله المغرضون والحاقدون من المستشرقين وأذئابهم، حتى شككوا بعض ناشئة المسلمين عن ثقافتهم فضحة بتاريخ أمتهم الجيدة، وسلفهم الصالح الذين هم خير القرون لينفذوا بالتالي إلى الطعن في الإسلام وتفريق كلمة المسلمين، وإلقاء البغض في قلوب آخر هذه الأمة لأولها بدلاً من الاقتداء بالسلف الصالح والعمل بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِأُولَئِكَ الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا إِلا لَذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

١١١ في الحديث: «خير هذه القرون: القرون التي بعد رسول الله ﷺ، فخير القرون التي بعد النبي ﷺ أو كانت سجداً سجلاً ج ١ ص ١٩١ وسلم كتاب: «فضل الصحابة باب الجود» في الصحابة رضي الله عنهم حديث ١٤٤٠-١٤٤١-١٤٤٢ من ١٩٦٧.

١١٢ نقل صحيح البخاري ١٤٤١/٢٥١.

(٣) الآية ١٠٠ من سورة الحشر.

النهي عن سب الصحابة:



من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم واستيحاء لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله بذلك في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذَا النَّارِ لَمْ يَسْقُوا بِأَنْفُسِهِمْ وَلَا تَعْمَلُ فُلُوكَ إِلَّا دُورِينَ﴾، مؤامرة إنكاره وفزعهم ﴿١﴾.

وطاعة لرسول الله ﷺ في قوله: (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مداً أحدهم ولا نصيفه) ﴿٢﴾.

ويتبرؤون من الذين يسبون الصحابة رضي الله عنهم ويغضونهم ويجهلون فضائلهم ويكفرون أكثرهم.

وأهل السنة يقبلون ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم ويعتقدون أنهم خير القرون كما قال النبي ﷺ في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة الحديث ﴿٣﴾.

قال أبو زرعة الرازي وهو من أجل شيوخ الإمام مسلم: إذا رأيت الرجل يتغص امرأة من الصحابة فاعلم أنه زنديق وذلك أن القرآن حق، والرسول حق وما جاء به حق، وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة، فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق.

قال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين: من سب أحداً من الصحابة مستحلاً كفر، وإن لم يستحل فسق، وعنه يكفر مطلقاً، ومن فسقهم أو طعن في دينهم أو كفرهم كفر ﴿٤﴾، وقال تعالى في شأن الصحابة رضي الله عنهم:

﴿وَمَنْ يُلَاحِظْ فِي الْأَعْيَالِ كَرِيحَ الْفَرْحِ مَطْمَئِنَّةً وَرَوْحَ السَّخَابِ فَاسْتَوَى عَلَى شَوْحِهِ يَنْتَهِجِ الزَّوْجَ يَعْبُدُ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ﴿٥﴾.

﴿١﴾ الآية ١٠٣ من سورة الحشر (٢) الحديث معلق عليه تقدم تحريمه في الصفحة السابقة.

﴿٣﴾ الحديث في الصحيحين البخاري كتاب الشهادات باب لا تشهد على شهادة خير إذا شهد ح ٢ من ٦٥١ ولم (١٩٥١)، وانظر مسلم كتاب عقائد الصحابة باب لعنوا الصحابة ثم الذين يلونهم حديث ٥٥٢٥ من ١٩٤٤.

﴿٤﴾ شرح عقيدة الصفاريين (٢٨٨-٢٨٩/٢). (٥) الآية (٢٩٩) من سورة الفتح.

وقد استدل الإمام مالك - رحمه الله - بهذه الآية على تكفير الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم . قال : لأنهم يبغضونهم ، ومن غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الآية ، ووافقه غيره من العلماء على ذلك^(١) .



النهي عن سب أئمة الهدى من علماء هذه الأمة:

يلي الصحابة في الفضيلة والكرامة والمنزلة أئمة الهدى من التابعين وأتباعهم من القرون المفضلة ومن جاء بعدهم ممن تبع الصحابة بإحسان كما قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَسْبِقُونَ ﴾ ^(٢) .

فلا يجوز تنقصهم وسبهم ، لأنهم أعلام هدى ، فقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ^(٣) .

قال شارح الطحاوية : فيجب على كل مسلم بعد موالاته الله ورسوله موالات المؤمنين ، كما نطق به القرآن خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء ، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرابتهم .

لهم الفضل علينا ، والمئة بالسبق وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا ، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا ، فرضي الله عنهم وأرضاهم ﴿ رَمَا أَنْفَعَكُمْ وَإِلَّا هُمَا لَكُمْ سَعْدٌ وَالْإِيمَانُ لَا يَخْلُقُ فِي قُلُوبِ غَيْرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَرَبَّنَا إِنَّكَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٤) .

فإنهم خلفاء الرسول في أمته ، والمحيون لما مات من سنته فيهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا وكلهم متفقون اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول ﷺ ، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له في تركه من عذر .

وجماع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها : عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله .

الثاني : عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول .

الثالث : اعتقاده أن الحكم منسوخ^(٥) .

(١) انظر كتاب: الصواعق المحرقة على أهل الرضوخ والفضائل والمزمنة لابن حجر الهيتمي ٦٠٧/١ طبعة مؤسسة الرسالة .

(٢) الآية (١٠٠) من سورة التوبة . (٣) الآية (١١٥) من سورة النساء .

(٤) الآية (١٠٠) من سورة الحشر .

(٥) انظر شرح الطحاوية بتفريغ الألباني ص ٤٩١ بتصرف .

والخطأ من قِدر العلماء بسبب وقوع الخطأ الاجتهادي من بعضهم هو من طريقة المبتدعة، ومن مخططات أعداء الأمة لتشكيك في دين الإسلام ولإيقاع العداوة بين المسلمين، ولأجل فصل خلف الأمة عن سلفها، وبث القرقة بين الشباب والعلماء كما قد يقع أحياناً، فلينبه لذلك الذين يحيطون من قِدر الفقهاء ومن قدر الفقه الإسلامي ويزهّدون في دراسته والانتفاع بما فيه من حق وصواب، فليعتزوا بفقهيهم وليحترموا علماءهم، ولا ينخدعوا بالدعايات المضللة والمغرصة والله الموفق.

الأسئلة

- س١ : من أهل السنة؟ وما الذي يجب في حقهم؟ وما شرط ذلك مع الاستدلال؟
- س٢ : ما حكم الغلو في حق أهل البيت؟ وما حكم الجفاء فيه؟
- س٣ : ما المراد بالصحابة؟ وما الذي يجب اعتقاده فيهم مستدلاً لذلك؟
- س٤ : من أفضل الصحابة؟ اذكر ترتيبهم حسب الأفضلية.
- س٥ : ما سبب الفتن التي وقعت في عهد الصحابة؟
- س٦ : ما الذي يعتقد أهل السنة في الصحابة الذين غاصروا الفتن واقتتلوا فيها وما اعتداهم عن ذلك؟
- س٧ : ما حكم من سب الصحابة مع الاستدلال؟
- س٨ : ما حكم سب أئمة الهدى من علماء هذه الأمة مستدلاً لما تقول؟
- س٩ : ما الجواب عن خطأ بعض العلماء في بعض المسائل الفقهية؟

معنى الفتنة:



للفتن عدة معان عدة منها الضلال والمحنة، واختلاف الناس في الآراء^(١).

وقد ابتلى الله عباده بالفتن قال تعالى: ﴿وَيَلْوِكُمْ بِالنَّارِ فَتَنَةً وَالْبَنَاتِ زُجُجُونَ﴾^(٢) وقال ﷺ: (تَغْرُسُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْخَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا فَإِذَا قَلِبَ أَشْرَبَهَا)^(٣) نُكَّتَ فِيهِ نَكْتَةُ سُودَاءٍ وَإِذَا قَلِبَ الْكُرَاهِ^(٤) نُكَّتَ فِيهِ نَكْتَةُ بِيضَاءٍ حَتَّى تَصِيرَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلَ الصَّفَا^(٥) فَلَا تَضُرُهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ ثُرِيَادًا^(٦) كَالْكُورِ مُجْحِيًا^(٧) لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكُرُ مَنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاءٍ^(٨) وهذه الفتن تكون عذابًا لقوم ولقوم رحمة وتكفيرًا للسينات.

أنواع الفتن: الفتن التي يبتلي الله عباده بها كثيرة وهي ترجع إلى نوعين:
الأول: فتن شهوات كفتنة المال والنساء^(٩).

الثاني: فتن شبهات كالأهواء التي أدت إلى ظهور البدع والفتنال بين المسلمين ومستحدثت في موضوعنا هذا عن فتن الشبهات.

أسباب الفتن: للفتن أسباب منها:

(أ) اتباع الهوى وفساد القصد، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَعَلْنَا لَكِ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ الْأَمْرِ أَتَوْا﴾^(١٠) قالهوى يعمي ويصم ويجعل صاحبه يرى الحق باطلاً والباطل حقاً.

(ب) الإطو والتفريط: فإن الغلو في الدين من أكبر أسباب الوقوع في الفتن، فما أوقع الخوارج في بدعتهم إلا الغلو، قال ﷺ: (يَاكُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ حَسَمْلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ

(١) انظر التفسير في الشبهة: عوداً من ١٩٧٥. (٢) سورة الأنعام: آية ٣٥ - (٣٦) أي: دأبت فيه وعزلاً عاماً.

(٣) أي: روعاً. (٤) الخبر الأصلي الذي لا يعلق فيه شيء. (٥) الترياق: اللعج سوداء وبياض.

(٦) سكرها أي: أن عليه نكتة حتى لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما وفقه هواه.

(٧) رواء: مصلح في صحيح كتاب الإيمان. وأنه إذا كان الإسلام بدأ عربياً وسبقه عربياً كما بدأ ١٢٨/١ ح ٢٣١.

(٨) انظر للمصنف في من الشهوات: إقالة الشبهات لأثر النبي.

(٩) سورة (نور) آية ١٦.

واستحلوا محارمهم^(١) كما أن التفریط ومقابلة الغلو بالضد نتج عنه بدعة الإرجاء.

(ج) اتباع التشابه وترك المحكم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَالنَّارَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ إِلَى الْعَذَابِ يُنَادُونَ بِمَا هُمْ كَاذِبُونَ﴾ (٢١).

(د) الجهل بما جاء به النبي ﷺ (فقد تخفى آثار الرسالة في الأمكنة والأزمنة حتى لا يعرفوا ما جاء به الرسول ﷺ إما أن لا يعرفوا اللفظ وإما أن يعرفوا اللفظ ولا يعرفوا معناه، فحينئذ يصيرون في جاهلية بسبب عدم نور النبوة. ومن هنا وقع الشرك وتضريق الدين شيعاً كالأئمة التي تحدث بالسيفاء فالفتن القولية والعملية هي من الجاهلية بسبب خفاء نور النبوة)⁽³⁾.

موقف المسلم من الفتن: حذر النبي ﷺ من الفتن وأرشد إلى ما يعصم منها وهو التمسك بهتة ﷺ، وبين ما على المسلم فعله وقت الفتن وإليك بيان بعض ذلك في النقاط الآتية:

(١) التعوذ من الفتن، وذلك في كل صلاة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال) ^(١).

(ب) التمسك بالكتاب والسنة فإن التمسك بهما بقي العبد من الانحراف في عقيده وعمله فلا يقع في فتنة فمن تمسك بهما وسار على هدى النبي ﷺ في دعوته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر عصم من الفتن. وإنما الفتنة في مخالفة هدى النبي ﷺ قال تعالى: ﴿لَمَّا يَأْتِ بُرْهَانُ رَبِّي هُذًى فَمَنْ أَتَّبِعْ هُذًى فَلَا يَفْضَلُ وَلَا يَشْقَى﴾ (٥).

وقال ﷺ: (... أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدٌ حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضواً عليها بالتواجد) ^(٦).

(ج) لزوم جماعة المسلمين وإمامهم إذا وقعت الفتن فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فيعتزل تلك الفرق كلها.

(٩٩) رواه ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب غير حصص الرمي، ج ٣، ١/١٢٠، وإلخافكم في الطهارة ١٩٩/١، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٤) سورة آل عمران الآية ٩٠ ، (٥) محمود فخاري، شمع الإسلام، ١/٧-٩-٣

182. *Journal of the American Medical Association*, 1977; 237: 117-11.

$\mathcal{L}(\mathbf{y}|\mathbf{X}) = \prod_{i=1}^n \mathcal{L}(y_i|\mathbf{X}_i)$

١٩٦١، ص ١٢١. انظر: *العلماء في مصر*، ص ١٢١.

— *Journal of the American Medical Association*, 1997

عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (نعم وفيه دخن) قلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر)، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجايبهم إليها قذفوه فيها): قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: (هم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا). قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: (تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم) قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)^(١).

(د) الصبر على جور الولاة وعدم الخروج عليهم إلا إن وقع منهم كفر بواح، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ عينا: (أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)^(٢).

(هـ) ترك السعي في الفتنة بأي طريق وكلما كان الإنسان أبعد منها كان أسلم من الوقوع فيها: فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنها ستكون فتن ألا تم تكون فتنه القاعد فيها خير من الماشي فيها والماشي فيها خير من الساعي إليها. ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه)، قال: فقال رجل: يا رسول الله! أ رأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: (يعمد إلى سيفه فيدق على حذاه بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء).

اللهم! هل بلغت؟ اللهم! هل بلغت؟ اللهم! هل بلغت؟ قال: فقال رجل: يا رسول الله أ رأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفتنين فضربني رجل بسيفه أو بجيء سهم فيقتلني؟ قال: (يؤء يائمه وإثمك ويكون من أصحاب النار)^(٣).

الأسئلة

- س١: عرف الفتنة، وما أنواعها؟
- س٢: ما أسباب الفتن؟ مع ذكر الأدلة على ذلك.
- س٣: ما موقف المسلم من الفتن؟

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ٩٢/٨ ج ٨١-٧.
 (٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ استروا بعدي أموراً تنكرونها ٩٨/٨ ج ٨٧-٧٠.
 (٣) رواه مسلم في كتاب الفتن والفرقة السابعة، باب نزول الفتن كموالغ القطر ٢٢١٢-٢٢١٣ ج ٢٨٨٧.

مقدمة:



تحرص المجتمعات على توثيق العلاقة بين الأفراد المتسمين لها وربطهم بوشائج من التقارب والتألف والحقوق المشتركة، وربما نزع كثير منها إلى الغلو في حقوق أفرادها في مقابل هضم حقوق الآخرين، والغاية من دراسة هذا الموضوع: بيان ما يجب على المسلم تجاه إخوانه ومجتمعه وأمته، وما يجب عليه تجاه غير المسلمين.

١ - تعريف الولاء والبراء:



الولاء في اللغة مصدر والى فلاناً بمعنى أحبه وناصره وقرب منه .

وفي الشرع: القرب من المسلمين بمودتهم ومناصرتهم .

والبراء في اللغة يطلق على معانٍ منها: التباعد من الشيء ومفارقه .

وفي الشرع: التباعد من الكفر واجتناب مشابهة أهله في عقائدهم وأعمالهم الباطلة وعدم مناصرتهم على المسلمين .

٢ - مكانة الولاء والبراء في الإسلام:



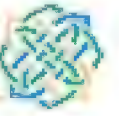
إن من لوازم التوحيد أن توالي أهله وتستبرأ ممن عاды الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِي اللَّهِ وَلِيُّهُمْ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (١) ،

(١) الآية (٤٥-٤٦) من سورة المائدة .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَهُكُمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾^(١) الآية، وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾^(٢).

كما أن اللولاء والبراء في السنة مكانة عظيمة فهما من أوثق عرى الإيمان، كما في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)^(٣). فتبين من هذه الأدلة وجوب موالاة المؤمنين والبراءة من أعدائهم وبيان ما في ذلك من الخير الكثير.

٣- من لوازم موالاة المؤمنين:



أ- الأخوة الإسلامية:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٤) وقال ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره)^(٥) فيجب على كل مسلم أن يوعى حق الأخوة؛ ومن تحقيق هذه الأخوة الوقوف مع المسلمين في حال اليسر والعسر وفرحاء وأشداء، وحب الخير لهم، والتعرف على أحوالهم، والاهتمام بقضاياهم وبذل الوسع والجهد في نصرتهم.

قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^(٦) وقال ﷺ: (إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك ^{بعضه} أصابعه)^(٧).

(١) الآية ١١٦ من سورة الممتدة.

(٢) رواه أبي سفيان بن عصفه ٨٠٠/١٧، رقم (٣٢٣٣٨) والطبراني في معجمه ١٠٠٦/١٢ وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (١٩٩٨).

(٣) الآية ١٠٣ من سورة الممتدة.

(٤) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة كتاب البر والصلوة، باب لزوم علم المسلم وخلقه واختاره ح ٣٥١٤.

(٥) رواه البخاري كتاب الأيمان، باب راحة الناس وليهم برقم (٦٠١١) ومسلم كتاب البر والصلوة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وبعثهم برقم (٣٥٨٦) واللفظ له.

(٦) رواه البخاري، كتاب الأيمان، باب نيلك الأصابع في السعد والغير، ومسلم في كتاب البر والصلوة، باب تراحم المؤمنين برقم (٣٥٨٦).

ب- المناصرة:

وهي معاوتتهم بالنفس والمال حسب الاستطاعة قال تعالى: ﴿وَلِإِنْ أُنصِرُوا كُفُّوا فِي الْيَوْمِ فَعَلَيْكُمْ﴾^(١) وقال الرسول ﷺ: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل يا رسول الله أنصره إن كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره، قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره)^(٢)، فَمِنْ نُصْرَتِهِ أَنْ يَمْنَعَهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَيُحْمِيَهُ مِنْهُ بِالْحُكْمَةِ وَالرَّفْقِ.

ج- المناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ لَوْلَا بَعْضُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٣) وقوله ﷺ: (الدين النصيحة قالها ثلاثاً، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)^(٤).

د. السمع والطاعة لولاة الأمر:

إن وحدة المسلمين وأمنهم مطلب أساسي في حياتهم، وهذا ما لا يمكن تحصيله إلا بالسمع والطاعة لولاة الأمر، والتزام الجماعة، ولذا فإن طاعة ولادة الأمر من مقتضيات مولاة المؤمنين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلِأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٥).

(١) الآية (٧٤) من سورة الأنفال.

(٢) روى البخاري كتاب الإقراء باب يقول الرجل لصاحبه له أخوه... ج ٢٩٤١.

(٣) الآية (٧١) من سورة التوبة.

(٤) روى مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة برقم (٥٥).

(٥) الآية (٥٩) من سورة النساء.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على عظم شأن اجتماع كلمة المسلمين ووحدتهم ولزوم جماعتهم، وحذرت من التفرق ونهت عن الخروج عن جماعة المسلمين وإمامهم، قال تعالى :

﴿وَأَنِصِبُوا حِجْلًا لَّكُمْ جَبِينًا وَلَا تَفْشَرُوا﴾^(١)، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)^(٢) وعن ابن عباس رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة جاهلية)^(٣).

٤- الفرق بين المداينة والمداراة:

المداينة هي: المصانعة مع ترك المناصحة، حيث يترك المداين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتغافل عن ذلك لغرض دنيوي أو هوى نفسي.

وقد حذر الله رسوله ﷺ مما طلبه المشركون منه من المداينة حيث قال تعالى :

﴿وَدُّوا أَلَّا يُدْعَىٰ بِمَدِينَتِكَ﴾^(٤).

المداراة: هي الملاينة التي تُدْرى بها المفسدة والشر ويكون ذلك بالقول اللين وترك الغلظة والإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو خيف من حصول شر أكبر مما هو مقترب أو كان من ترجى هدايته.

(١) الآية (١٠٢) من سورة آل عمران

(٢) رواه البخاري كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، ج ٧١٩٩ وسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء، ج ٤٧٦٨ واللفظ له.

(٣) رواه البخاري كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة، ج ٧١١٢ وسلم كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، ج ١٨١٩ واللفظ له.

(٤) الآية (٩) من سورة النمل



أ- من نماذج الموالاة في الله: موقف الانتصار- رضي الله تعالى عنهم- من إخوانهم المهاجرين- رضي الله عنهم والذي ذكره الله بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّطُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي شُؤْرِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْفَرُوا وَيُثْرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١).

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ أي سكنوا دار الهجرة وأمن كثير منهم قبل كثير من المهاجرين وهم الأنصار ﴿يُخَيِّطُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي شُؤْرِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْفَرُوا﴾ أي لا يجدون حسداً لإخوانهم على ما آتاهم الله من فضله، ﴿وَيُثْرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي يقدمون المحاربين على أنفسهم ولو كانوا هم محتاجين، فيقدمون دفع حاجة إخوانهم على دفع حاجة أنفسهم.

ب- من نماذج البراءة: في حق الذين قاتلوا المسلمين وأذوهم ما ورد في سورة الممتحنة في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْبَغُ لِلَّهِ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا بِإِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢).

أما الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يخرجوهم فإن الله لم ينه عن برهم والإقساط إليهم كما قال سبحانه: ﴿لَا يَنْبَغُ لِلَّهِ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٣).



(١) يجوز للمسلم أن يستعين بغير المسلم في بعض أمور حياته إذا وثق به، فقد استعان ﷺ وأبو بكر- رضي الله عنهما - بعبد الله بن أريقط الدؤلي ولم يكن مسلماً ليدلّهما في سفر الهجرة، كما استعان ﷺ بغير المسلمين في زراعة أراضٍ خيرية لحبّرتهم بذلك، وجعل لهم شطراً ما يخرج منها، وبناءً على ذلك لا يزال المسلمون يستفيدون من خبرات غيرهم في الطب والحساب والفلك والتجارة وغير ذلك.

(١) الآية (٩٦) من سورة الممتحنة.

(٢) الآية (٩٦) من سورة الممتحنة.

(٣) الآية (٩٨) من سورة الممتحنة.

(ب) يجوز لولي أمر المسلمين الاستعانة بغير المسلمين إذا وثق بهم وكان بالمسلمين حاجة لذلك، قال ابن القيم: (الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة؛ لأن عين النبي ﷺ في الحديدية كان غير مسلم من خزاعة، ويرى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن الانتفاع بغير المسلمين في بعض أمور الدين ليس مذموماً لقصة الخزاعي^(١)).

(ج) لا يجوز أن يجعل لغير المسلم سلطة عامة على المسلمين؛ لأن الله تعالى نهى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^(٢). وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْجُدُوا لِلشَّيْطَانِ مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ جَبَالًا﴾^(٣).

٧- التعامل مع غير المسلمين:

وهم من حيث التعامل معهم على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: المعاهدون على إقرارهم على دينهم وإقامتهم في بلاد المسلمين وتحت حمايتهم، وهؤلاء يجب الوفاء لهم بالعهد فلا يجوز الاعتداء عليهم في دماءهم وأموالهم أو حقوقهم؛ لأنها معصومة لا يحل شيء منها إلا بوجه شرعي؛ لقوله ﷺ: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)^(٤) وقوله ﷺ: (ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حبيجه يوم القيامة)^(٥).

النوع الثاني: المعاهدون على كَفِّ القتال والمستأمنون وهم الذين لهم أمان، كسفراء الدول غير المسلمة والرسول والمندوبين ومن قدم لتجارة أو لمعرفة الإسلام فهؤلاء يحترمون في دماءهم وأموالهم وحقوقهم لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْ مَآثِرَهُ﴾^(٦).

(١) ملحق مصنفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بعض فوائد صلح الحديدية ص ٧

(٢) آية (١٤١) من سورة النساء.

(٣) آية (١١٨) من سورة آل عمران.

(٤) رواه البخاري كتاب الجزية والمواضع، باب (ثم من قتل معاهداً بغير جرم، برقم (٢١٦٦)).

(٥) رواه أبو داود كتاب الجراح، باب في تعشير أهل الذمة (إلا الخلفاء والتجار)، برقم (٥٢-٥٣).

(٦) آية (١١) من سورة التوبة.

ولقوله عليه الصلاة والسلام : (إني لا أخيس «أي أنقض» بالعهد ولا أحبس البرد»^(١) .
النوع الثالث: المحاربون والمعتدون وهؤلاء قد أمر الله ببرد عدوانهم وقتالهم، قال تعالى :
﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْسِدُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى اللَّهِ لَا يُحِبُّ الشَّعْبِيُّ ﴾^(٢) .

٨- نماذج من التعامل مع غير المسلمين:



أ- ما أمر الله به من الإحسان إلى الوالدين وإن كانا مشركين، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ بِكَ عَلَيْهِ كَيْدٌ فَصَدِّمْ ۖ وَلَمْ فَلَا تَطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾^(٣) . وقال ﷺ لاسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها : (صلي أمك) حين سأله عن صلتها وهي مشركة^(٤)، وأهدى عمر رضي الله عنه لأخيه حُلَّةً قبل أن يسلم^(٥) .

ب- عدم إكراههم في الدين أو سب آلهتهم؛ لقوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾^(٦) وقوله تعالى :
﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾^(٧) .

ج- عبادة مريضهم ورعاية جوارهم بالإحسان إليهم؛ لقوله ﷺ (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره)^(٨) وهذا عام للمسلم وغيره .

وقد ذكر أهل العلم أن الجار المشرك له حق الجوار أخذاً من قوله تعالى :

﴿ وَالْجَارُ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارُ الْجُنُبُ ﴾^(٩) (ولأن النبي ﷺ كان عنده غلام يهودي يخدمه فمريض فأتاه يعوده...)^(١٠) .

(١) رواه ابن جرير في كتاب الجهاد، باب في الإمام يستعين به في العهد، برقم (١٩٧٥٨)، «البردة» : (الرملي).

(٢) آية (١٩٠) من سورة البقرة.

(٣) آية (٦٥) من سورة النسا.

(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب صلة المرأة لها ولها زوج، برقم (٥٩٧٩).

(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب صلة الأخ المشرك، برقم (٥٩٨١).

(٦) آية (٢٥٦) من سورة النقرة.

(٧) آية (٨١) من سورة الأنعام.

(٨) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الحق على إكرام الجار والضيف، ... برقم (٤٥٨).

(٩) آية (٣٦) من سورة النساء. (١٠) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب إذا أسلم نصي فقاتل هل يعلل عليه؟ برقم (١٣٥٦).

د- جواز الاتجار مع غير المسلمين حتى مع الحربين، فلكل منهم دخول بلاد الآخر بأمان للتجارة؛ لأنه عليه السلام أذن لثُمَامَةَ بْنِ أَنَّثَالِ الحنفي أن يبيع الطعام من اليمامة لأهل مكة. فهذا التعامل جائز مع المحاربين كما جاز مع أهل الذمة بدليل أنه عليه السلام مات ودرعه مرهونة عند يهودي^(٢١).

ويتلخص من هذا أن المحاربين من الكفار هم الذين يتصدى لهم المسلمون بالحرب، أما غير المحاربين من المعاهدين والمستأمنين فإن برهم والإحسان إليهم والتعامل معهم ليس من الموالاة والمودة المنهي عنها، بل هو من الإحسان الذي يحبه الله ويرضاه وكتبه على كل شيء^(٢٢).

أسئلة عامة على الباب:

- س١. عرف الولاء والبراء.
- س٢. بين مكانة الولاء والبراء في الإسلام.
- س٣. بين لوازم موالاتة المؤمنين.
- س٤. ما الفرق بين المداينة والمداراة؟
- س٥. اذكر نموذجاً من الولاء.
- س٦. اذكر نموذجاً من البراء.
- س٧. ما حكم الاستعانة بغير المسلمين؟
- س٨. اذكر أقسام غير المسلمين من حيث التعامل.
- س٩. اذكر نماذج من التعامل مع غير المسلمين.

(٢١) كتاب أحكام أهل الذمة لأبن القيم ص ١٠١.

(٢٢) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب شراء النبي صلى الله عليه وسلم بالثمن، رقم (٢٠٦٨).

في البدع

ويتضمن الفصول التالية:

- | | | |
|--------------|---|--|
| الفصل الأول | : | تعريف البدعة - أنواعها وأحكامها. |
| الفصل الثاني | : | ظهور البدع في حياة المسلمين، والأسباب التي أدت إليها ومفاسدها. |
| الفصل الثالث | : | موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة، ومنهج السلف في الرد عليهم. |
| الفصل الرابع | : | نماذج من البدع المعاصرة وهي: |
| | | ١- الاحتفال بالمولد النبوي. |
| | | ٢- التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص. |
| | | ٣- البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله. |

تعريف البدعة - أنواعها وأحكامها

تعريفها:

البدعة في اللغة: ماخوذة من البدع وهو الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) أي مخترعها على غير مثال سابق، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٢) أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد بل تقدمني كثير من الرسل. ويقال: ابتدع فلان بدعة يعني ابتدا طريقة لم يسبق إليها. البدعة في الشرع: ما أحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عفة وعمل.

أقسام الابتداع:

الابتداع قسمان:

ابتداع في العبادات كابتداع المخترعات الحديثة وهذا مباح؛ لأن الأصل في العبادات الإباحة، وابتداع في الدين وهذا محرم؛ لأن الأصل فيه التوقيف، قال ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(٣) وفي رواية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)^(٤).

أنواع البدعة:

البدعة في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية كمقالات الجهمية والمعتزلة وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم. النوع الثاني: بدعة عملية كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وهي أقسام:

- ١- ما يكون في أصل العبادة: بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كأن يحدث صلاة غير مشروعة أو صياماً غير مشروع أصلاً أو أعياداً غير مشروعة كأعياد الموالد وغيرها.
- ٢- ما يكون من الزيادة في العبادة المشروعة، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.
- ٣- ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول ﷺ.

(١) الآية (١٦٥) من سورة البقرة. (٢) الآية (١٧٨) من سورة البقرة. (٣) رواه البخاري، كتاب الصلح، إذا أعطوا على صلح جور فاصلح مراد، رقم (٢٦٨٧).

(٤) الآية (١٦٥) من سورة البقرة. (٥) الآية (١٧٨) من سورة البقرة.

(٦) تقدم تعريفه من ١-٢.

٤- ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع كتخصيص يوم النصف من شعبان وليته بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها:



كل بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة، لقوله ﷺ: (وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)^(١) وقوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(٢)، وفي رواية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)^(٣) فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة.

فمنها ما هو كفر صراح، كالطواف بالقبور تقريباً إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والتذوق لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وكأقوال غلاة الجهمية والمعتزلة.

ومنها ما هو من وسائل الشرك، كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها.

ومنها ما هو فسق اعتقادي كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية.

ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل والصيام قائماً في الشمس^(٤).

تنبيه: حكم تقسيم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة:

من قسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة فهو مخطئ ومخالف لقوله ﷺ: (فإن كل بدعة ضلالة) لأن الرسول ﷺ حكم على البدع كلها بأنها ضلالة، وهذا يقول ليس كل بدعة ضلالة بل هناك بدعة حسنة، قال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين: فقوله ﷺ: (كل بدعة ضلالة) من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو من أصول الدين، وهو شبيه بقوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة. والدين بريء منه سواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأفعال أو الأقوال الظاهرة والباطنة. انتهى^(٥).

(١) جزء من حديث طويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل بدعة ضلالة» ورواه ابن رجب في «المعجم الكبير» ١٠/٢٧٦. حديث ٢٧٦٦ وقال: حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وأحمد وغيرهم. وقال الزائر: حديث ثابت صحيح، وقال ابن عدي: حديث ثابت.

(٢) تقدم تفريجه لآ. (٣) رواه مسلم وتقدم تفريجه ص ١٠٩.

(٤) نظر الاصطلاح للشافعي ٢/٢٧. (٥) جامع المصنوع والحكم ص ٢٢٢.



وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: (نعمت البدعة هذه). وقالوا أيضاً: إنها أحدثت أشياء لم يستكرها السلف مثل جمع القرآن في كتاب واحد، وكتابة الحديث وتدوينه.

والجواب عن ذلك أن هذه الأمور لها أصل في الشرع فليست محدثة، وقول عمر: (نعمت البدعة)، يريد البدعة اللغوية لا الشرعية، فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه إذا قيل إنه بدعة فهو بدعة لغة لا شرعاً.

وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابة القرآن، لكن كان مكتوباً متفرقاً فجمعه الصحابة رضي الله عنهم في مصحف واحد، حفظاً له، والتراويح قد صلاها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه وتخلف عنهم في الأخير خشية أن تفرض عليهم واستمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونها أوزاعاً متفرقين في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على إمام واحد كما كانوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم وليس هذا بدعة في الدين.

وكتابة الحديث أيضاً لها أصل في الشرع فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه لما طلب منه ذلك، وكان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده صلى الله عليه وسلم خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلما توفي صلى الله عليه وسلم انتهى هذا المحذور، لأن القرآن قد تكامل وضبط قبل وفاته صلى الله عليه وسلم، فدون المسلمون الحديث بعد ذلك حفظاً له من الضياع، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً حيث حفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم من الضياع وعيث العابثين.

أسئلة

- س١: عرف البدعة لغة وشرعاً.
- س٢: ما حكم البدع في العادات والعبادات مع الاستدلال؟
- س٣: اذكر أنواع البدع في الدين.
- س٤: ما حكم البدعة في الدين مستدلاً في ذلك؟
- س٥: كيف ترد على من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة؟

ظهور البدع في حياة المسلمين والأسباب التي أدت إليها ومفاسدها

الفصل
الثاني



ظهور البدع في حياة المسلمين وتحته مسألتان:

المسألة الأولى - وقت ظهور البدع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر الخلفاء الراشدين كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: (من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)^(١). وقد أنكر الصحابة على أهل هذه البدع^(٢).

المسألة الثانية - مكان ظهور البدع:

تختلف البلدان الإسلامية في ظهور البدع فيها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله ﷺ وخرج منها العلم والإيمان خمسة: الحرمان - مكة والمدينة -، والعراقان - الكوفة والبصرة -، والشام، منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة وما يتبع ذلك من أمور الإسلام، وخرج من هذه الأمصار أصول البدع غير المدينة النبوية، وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية، وأما المدينة النبوية فكانت سليمة من ظهور هذه البدع وإن كان بها من هو مضمحل لذلك فكان عندهم مهاناً مذموماً.

فأما العصور الثلاثة المفضلة فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة البتة ولا خرج منها بدعة في أصول الدين البتة كما خرج من سائر الأمصار، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن الدجال لا يدخلها^(٣) ولم يزل العلم والإيمان ظاهراً إلى زمن أصحاب مالك وهم من أهل القرن الرابع^(٤).

(١) تقدم تاريخه في حكم البدعة ص ١٦٢

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٣٥٥

(٣) المدينة بأنها الدجال حيث لا يدخلها بدعة ولا يدخلها العلم قال: ولا يدخلها العلم ولا يدخلها الدين، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة ج ٨

ص ١٠٣ وفي مواطن أخرى كثيرة وانظر مسلم، كتاب الحج، باب صلاة العيكة من دخول الطاعون والدجاجة حديث ١٢٧٩.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٠١/ ٢٠٠-٢٠٢، بغيره وينصح بإرجاعه للاستزادة منه



عما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه منجاة من الوقوع في البدع والضلال، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(١).

وقد وضع ذلك النبي ﷺ فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: (خطبنا لرسول الله ﷺ خطباً ثم قال: هذا سبيل الله ثم خطب خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: وهذه سُبُلٌ - قال يزيد: متفرقة - على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٢).

فمن أعرض عن الكتاب والسنة تنازعته الطرق المضللة والبدع المحدثه. وتتلخص الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع في الأمور التالية:

(أ) الجهل بأحكام الدين:

كلما امتد الزمن وبعد الناس عن آثار الرسالة قلَّ العلم وفشا الجهل، كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: (من يعلى منكم فسيرى اختلافاً كثيراً)^(٣)، وقوله: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)^(٤)، فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء، فإذا فقد العلم والعلماء اتبعت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر ولاهلها أن ينشطوا.

(ب) اتباع الهوى:

من أعرض عن الكتاب والسنة اتبع هواه كما قال تعالى:

﴿فَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا لِلَّهِ فَاِتَّبِعُوا أَهْوَاءَ هُمْ وَمَنِ اتَّبَعْهُ يَضِلُّ هَوَاهُ يَفْتِرْهُ هَدَىٰ مِنَ اللَّهِ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ مِلٍّ وَحَمَّ عَلَىٰ صَبْرِهِ وَقِيلَ لَهُ خُذْ صِرَاطَ رَبِّكَ فَقَالَ لَنْ يَذَّكَّرُونَ﴾^(٦)، والبدع إنما هي نسيج الهوى المتبع.

(١) الآية (١٥٢) من سورة الأنعام. (٢) رواه أحمد ج ١ ص ٢٣٥، ٢٣٦ وابن حبان وأحمد. (٣) سبل تفسيره ص ١٢٧.

(٤) رواه البخاري، صحيحه، باب كيف يقبض العلم ج ١ ص ٣٣، وصححه الشيخان، باب رفع العلم ونقصه وظهور الجهل والافتقار في أمور الرجال حديث ٢٦٧٣ ص ٥٨.

(٥) الآية (٥٠) من سورة القصص. (٦) الآية (٢٢٣) من سورة الجاثية.

(ج) التعصب للآراء والرجال:

يحول التعصب للآراء والرجال بين المراء واتباع الدليل ومعرفة الحق، قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ، آيَاتًا﴾^(١).

وهذا هو الشأن في المستعصين اليوم من بعض أتباع المذاهب الصوفية والقبوريين إذا دعوا إلى اتباع الكتاب والسنة ونبت ما هم عليه مما يخالفهما احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم وآبائهم وأجدادهم.

(د) التشبه بالكفار:

هو من أشد ما يوقع في البدع كما في حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يمنية يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

﴿قَالَ أَيْنَمَا أُجْعَلُ لَنَا إِلَهٌ كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْهَلُونَ﴾^(٢) لتركبن سنن من كان قبلكم^(٣).

ففي هذا الحديث أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل أن يطلبوا هذا الطلب القبيح وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونها، وهو الذي حمل بعض أصحاب محمد أن يسألوه أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها من دون الله، وهذا نفس الواقع اليوم فإن غالب الناس من المسلمين قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات كأعياد الموالد وإقامة الأيام والأسابيع لأعمال مخصصة والاحتفال بالمناسبات والذكريات وإقامة التماثيل والنصب التذكارية وإقامة المآتم وبدع الجنائز، والبناء على القبور وغير ذلك.

مفاسد البدع:



لظهور البدع وانتشارها مفاسد كثيرة، ويترتب عليها محاذير عظيمة، منها:

١- أن فيها تكذيباً لقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٤)؛ لأنه إذا جاء بدعة جديدة اعتبرها ديناً؛ فمقتضاه أن الدين لم يكمل.

٢- أنها تستلزم الفدح في الشريعة، وأنها ناقصة، فأكملها هذا المبتدع.

(١) الآية (١٣٨) من سورة الأعراف.

(٢) الآية (١٧٠) من سورة الشعراء.

(٣) رواه أحمد بن حنبل، والترمذي، كتاب الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم حديث ٢١٨٠ وقال: حسن صحيح.

(٤) الآية (٣٢) من سورة المائدة.

٣ - أنها تستلزم الفدح في المسلمين الذين لم يأتوا بها؛ فكل من سبق هذه البدع من الناس دينهم ناقص! وهذا خطير!!

٤ - الانشغال عن السنن لأن الغالب أن من اشتغل ببدعة؛ انشغل عن سنة؛ كما قال بعض السلف: «ما أحدث قوم بدعة، إلا هدموا مثلها من السنة».

٥ - أن هذه البدع توجب تفرق الأمة؛ لأن هؤلاء المبتدعة يعتقدون أنهم هم أصحاب الحق، ومن سواهم على ضلال!! وأهل الحق يقولون: أنتم الذين على ضلال! فتتفرق قلوبهم.

فهذه مفسد عظيمة، كلها تترتب على البدعة من حيث هي بدعة، مع أنه يتصل بهذه البدعة سقم في العقل وخلل في الدين^(١).

أَسْئَلَةُ

س١ : حدّد الوقت الذي ظهرت فيه البدع.

س٢ : اذكر الأماكن التي ظهرت فيها البدع والمكان الذي لم تظهر فيه، وما مرجع ذلك؟

س٣ : ما الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع؟

س٤ : اذكر بعض مفسد البدع ومحاذيرها العظيمة.

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن عثيمين ٢/٣١٩-٣١٧.

موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة ومنهاج السلف في الرد عليهم

الفصل
الثالث

١ - موقف السلف من المبتدعة:

ما زال السلف يردون على المبتدعة وينكرون عليهم بدعهم ويمنعونهم من مزاولتها وإليك نماذج من ذلك:

(أ) عن أم الدرداء رضي الله عنها- قالت: دخل عليّ أبو الدرداء مغضباً فقلت له: مالك، فقال: والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد- ﷺ- إلا أنهم يصلون جميعاً^(١).

(ب) عن عمرو بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن أبيه فقال: كنّا نجلس على باب عبدالله بن مسعود- رضي الله عنه- قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشياً معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج عليكم أبو عبدالرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال: يا أبا عبدالرحمن إني رأيت في المسجد أنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: وما هو، قال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً جلفاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصي فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هلكوا مائة فيهلكون مائة فيقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم، فقال: ما قلت لهم شيئاً اننظار رأيك، أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلقة فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبدالرحمن حصي تعد به التكبير والتسهيل والتسبيح والتحميد، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن من أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وأنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدي من ملة محمد، أو مفتتحوا باب الضلالة، قائلوا: والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم مرید للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله لا أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم فقال عمرو بن سلمة:

(١) رواه البيهقي كتاب الأذان باب قبل صلاة الصبح في جماعة ج ١ ص ١٥٩

رأينا عامة أولئك يطاعوننا يوم النهروان مع الخوارج^(١).

(ج) جاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال: من أين أحرم، فقال: من الميقات الذي وقَّع رسول الله ﷺ وأحرم منه، قال الرجل: فإن أحرمت من أبعد منه، فقال مالك: لا أرى ذلك، فقال: ما تكره من ذلك، قال: أكره عليك الفتنة، قال: وأي فتنة في ازدياد الخير فقال مالك: فإن الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢). وأي فتنة أعظم من أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله ﷺ^(٣).

(د) عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يسكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه، فقال: يا أبا محمد، يعذبي الله على الصلاة، قال: لا ولكن يعذبك على خلاف السنة^(٤). هذه نماذج ولا زال العلماء ينكرون على المبتدعة في كل عصر والحمد لله.

٢- منهج السلف في الرد على أهل البدع:

منهجهم في ذلك المنهج المقتض المبحر المبني على الكتاب والسنة، حيث يستدلون بالكتاب والسنة على وجوب التمسك بالسنة والنهي عن البدع والمحدثات إجمالاً ثم يوردون شبه المبتدعة وينقضونها.

المؤلفات في البدع والرد على المبتدعة:

لقد ألف علماء السلف مؤلفات عامة تتضمن الرد على المبتدعة في أصول الإيمان والعقيدة وذلك في الكتب المتعلقة بالعقائد مثل:

- (١) كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - .
 - (٢) كتاب خلق أفعال العباد للإمام البخاري - رحمه الله - .
 - (٣) كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة للإمام ابن قتيبة - رحمه الله - .
 - (٤) كتاب الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي - رحمه الله - .
- كما ألفوا كتباً خاصة في الرد على أهل البدع منها:
- (١) الاعتصام للإمام الشاطبي - رحمه الله - .

(٢) الآية (٦٣) من سورة النور.

(١) رواه البخاري المقتضب باب في كراهية أخذ الراي حديث ٦٠٤ .

(٣) رواه الدارمي ج ١ ص ١١٦ والبيهقي في السنن الكبرى ج ٢ ص ١٦٦ عند صحيح.

(٤) رواه أبو شامة في كتاب القامت على نظام البدع والمحدثات خلا عن أبي بكر الخليل ص ١٤ .

- (٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فقد استغرق الرد على المبتدعة جزءاً كبيراً منه .
- (٣) إنكار الحوادث والبدع لابن وضاح - رحمه الله - .
- (٤) الحوادث والبدع للطرطوشي - رحمه الله - .
- (٥) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة - رحمه الله - .
- كما ألقت كتب معاصرة في موضوع البدع، منها : -
- ١- كتاب الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ - رحمه الله - .
- ٢- كتاب السنن والمبتدعات المتعلقة بالآذكار والصلوات للشيخ محمد بن أحمد الشقيري الحوامدي رحمه الله .
- ٣- رسالة التحذير من البدع للشيخ العلامة عبد العزيز بن باز - رحمه الله - .
- ٤- القول المبين في رد بدع المبتدعين للشيخ عبد الله الخليفي - رحمه الله - .
- ولا يزال علماء المسلمون - والحمد لله - ينكرون البدع ويردون على المبتدعة من خلال الصحف والمجلات والإذاعات وخطب الجمع والسندوات والمحاضرات مما له كبير الأثر في توعية المسلمين والقضاء على البدع وقمع المبتدعين .

أسئلة

- س١ : بين موقف أهل السنة من المبتدعة واذكر نماذج لذلك .
- س٢ : وضح منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع .
- س٣ : اذكر شيئاً من الكتب المؤلفة في الرد على أهل البدع .

وهي:

- ١- الاحتفال بمناسبة مولد النبي ﷺ.
 - ٢- التبرك بالاماكن والآثار والأموات ونحو ذلك.
 - ٣- البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله.
- البدع المعاصرة كثيرة بحكم تأخر الزمن وقلة العلم وكثرة الدعاة إلى البدع والمخالفات وسريان التشبه بالكفار في عاداتهم وطقوسهم مصداقاً لقوله ﷺ: (لتركن سنن من كان قبلكم)^(١).

١- الاحتفال بمناسبة مولد النبي ﷺ:

أ- إن من الواجب على كل مسلم محبة النبي ﷺ، إذ هي من أصول الدين الذي لا يتم الإيمان إلا به وعلى ذلك انعقد إجماع المسلمين، وكيف لا تحب محبته ﷺ وهو الذي أحبه الله تعالى واصطفاه وظهره وعصمه، وفضله على جميع ولد آدم، وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأنبياء قبله. وهو الذي كمل الله به الرسالة، وهدى به من الضلالة، وألف به بعد الفُرقة، وأغنى به بعد العيلة؛ فأصبح الناس بتعمة الله عز وجل إخواناً قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرَزَقَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢) ولا يحصل كمال الإيمان حتى يحب المسلم نبيه ﷺ أكثر من نفسه كما في الحديث: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٣). وحديث: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ أَخَذَ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْآنَ يَا عُمَرُ^(٤).

(١) تقدم تخريجه ص ١٢٩.

(٢) آية (١٧٧) من سورة آل عمران.

(٣) تقدم تخريجه ص ١٧.

(٤) رواه البخاري، كتاب الإيمان والبلور، باب كيف كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم، برقم (٦٦٣٢).

وعلاوة صدق محبته ﷺ تكون في اتباعه والتمسك به، والتخلق بأخلاقه، كما بين الله ذلك في قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١١). وقد سبق الكلام مطولاً ومفصلاً في بيان محبته ﷺ وتعظيمه وبيان منزلة ووجوب طاعته والافتداء به وتعظيم سنته واتباعها وفضل الصلاة والسلام عليه - في الباب الثالث من هذا الكتاب.

ب- إن مما يؤسف له أن بعض المسلمين اليوم إما مقصر في حقوق المصطفى ﷺ فتراه ضعيف الاتباع لسنته قليل الصلاة والسلام عليه، أو واقع في الإطراء والغلو الذي لا يرضاه النبي ﷺ لما فيه من وصفه ﷺ بما لا يكون إلا لله عز وجل أو الابتداع لأجل محبته مالم يشرعه الله ولا رسوله، وقد قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١٢). متفق عليه، ومن ذلك: الاحتفال بمناسبة مولده ﷺ، فهو حرام؛ لأنه من البدع المحدثه، ولم يقل به أحد من الأئمة المعتبرين أو أهل العلم الراشخين، وهو تشبه بالنصارى في عمل ما يسمى بالاحتفال بمولد المسيح، فيحتفل بعض المسلمين في ربيع الأول من كل سنة بمناسبة مولد الرسول ﷺ، فمنهم من يقيم هذا الاحتفال في المساجد ومنهم من يقيم في البيوت أو الأمكنة المعدة لذلك، ويحضر جموع كثيرة من دماء الناس وعوامهم، يعملون ذلك إما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً وإما تشبهاً بالنصارى في ابتداعهم الاحتفال بمولد المسيح عليه السلام وبعض هذه الاحتفالات، علاوة على كونه بدعة وتشبهاً بالنصارى لا يخلو من الشراكيات والمنكرات كإشاد القصائد التي فيها الغلو في حق الرسول ﷺ إلى درجة دعائه من دون الله والاستغاثة به، وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو في مدحه فقال: «(لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)»^(١٣). وربما يعتقدون أن الرسول ﷺ يحضر احتفالانهم.

ومن المنكرات التي نصاحب هذه الاحتفالات الأذكار البدعية والأناشيد الجماعية المنغمة وضرب الطبول، وغير ذلك من عمل الأذكار الصوفية المستدعة، وقد يكون فيها اختلاط الرجال والنساء مما يسبب الفتنة ويجر إلى الوقوع في الفواحش وحتى لو خلا هذا الاحتفال من هذه المحاذير واقتصر على الاجتماع وتناول الطعام في إظهار الفرح - كما يقولون - فإنه بدعة محدثة (وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) وأيضاً هو وسيلة إلى أن يتطور ويحصل فيه ما يحصل في الاحتفالات الأخرى من المنكرات.

(١١) آية (٣١) من سورة آل عمران.

(١٢) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

(١٣) رواه البخاري وأحمد والترمذي وابن ماجه.

وقلنا: إنه بدعة؛ لأنه لا أصل له في الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح والقرون المفضلة، وإنما حدث متأخراً بعد القرن الرابع الهجري، أحدثه العبديون الباطنيون المنتسبون بالفاطميين -زعموا-.

قال الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني رحمه الله: أما بعد، فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمل به بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد، هل له أصل في الدين، وقصدوا الجواب عن ذلك مبيناً والإيضاح عنه معيناً، فقلت وبالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة ولا يتقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بأثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطلون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكاثون^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيمه، والله قد يشبههم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة للنبي ﷺ وتعظيمه له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما محبته وتعظيمه في متابعتهم وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطنياً وظاهراً ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان^(٢).

وقد أُلّف في إنكار هذه البدعة كتب ورسائل قديمة وجديدة^(٣)، وهو علاوة على كونه بدعة وتشبيهاً فإنه يجر إلى إقامة موائد كموائد الأولياء والمشائخ والزعماء، فيفتح أبواب شر كثيرة.



٢- التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياء وأمواتاً:

من البدع المحدثّة التبرك بالمخلوقين فهي شبكة يصطاد بها المرتزقة أموال السذج من الناس.

والتبرك: طلب البركة وهي ثبوت الخير في الشيء وزيادته، وطلب ثبوت الخير وزيادته إنما يكون ممن يملك ذلك ويقدر عليه وهو الله سبحانه، فهو الذي ينزل البركة ويثبتها، أما المخلوق فإنه لا يقدر على منح البركة وإيجادها ولا على إبقائها وتثبيتها.

(١) رسالة الرد في حمل الموائد. (٢) المنهاج الصراط المستقيم ١١/١١٦٥ بتحقيق الدكتور ناصر العبد.

(٣) مثال: ١- التعليل من البدع للشيخ العلامة عبدالعزیز بن باز رحمه الله. ٢- الاحتفال بالموائد بين الأئمة والاتباع لمحمد بن سعد بن شقير.

٣- الرد في حمل الموائد لتاج الدين الفاكهاني رحمه الله. ٤- حكم الاحتفال بالموائد النبوية والرد على من أحاره للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.



التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياء وأمواتاً لا يجوز لأنه إما شرك، إن اعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة أو يجلب العافية ويزيد الرزق أو وسيلة إلى الشرك إن اعتقد أن زيارته وملاصقته والتمسح به سبب لحصولها من الله، وأما ما كان الصحابة يفعلونه من التبرك بشعر النبي ﷺ وريقه وما انفصل من جسمه ﷺ كما تقدم^(١)، فذلك خاص به ﷺ في حال حياته ووجوده بينهم، بدليل أن الصحابة لم يكونوا يتبركون بحجرته وقبره بعد موته، ولا كانوا يقصدون الأماكن التي صلى فيها أو جلس فيها، ليتبركوا بها، وكذلك مقامات الأولياء من باب أولى، ولم يكونوا يتبركون بالأشخاص الصالحين كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما - وغيرهما من أفاضل الصحابة لا في الحياة ولا بعد الموت، ولم يكونوا يذهبون إلى غار حراء ليصلوا فيه أو يدعوا، ولم يكونوا يذهبون إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى ليصلوا فيه ويدعوا، أو إلى غير هذه الأمكنة من الجبال التي يقال إن فيها مقامات الأنبياء أو غيرهم، ولا إلى مشهد مبني على أثر نبي من الأنبياء، وأيضاً فإن المكان الذي كان النبي ﷺ يصلي فيه بالمدينة النبوية دائماً لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله، ولا الموضع الذي صلى فيه النبي بمكة وغيرها، فإذا كان الموضع الذي كان يطرؤه بغدديه الكريمتين ويصلي عليه لم يشرع لأمته التمسح به ولا تقبيله فكيف بما يقال أن غيره صلى فيه أو نام عليه، فتقبيل شيء من ذلك والتمسح به قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا ليس من شريعته ﷺ^(٢).

٣- البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله:



البدع التي أحدثت في مجال العبادات في هذا الزمان كثيرة، والأصل في العبادات التوقيف فلا يشرع شيء منها إلا بدليل، وما لم يدل عليه دليل فهو بدعة؛ لقوله ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)^(٣).

والعبادات التي تمارس الآن ولا دليل عليها كثيرة جداً، منها:

الجهير بالنية للصلاة: بأن يقول نويت أن أصلي لله كذا وكذا، هذه بدعة، لأنه ليس من سنة النبي ﷺ، ولأن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَالطَّيِّبَاتِ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَمَا لَكُمْ مِنْ حَبْلِ اللَّهِ لَنْ تَصْلَحُوا﴾.

(١) في موضوعات جليلية، ص ١٢١.

(٢) نظر القضاء الشرعي المستقيم (٢١) ٢٠٠٢-٢٠٠٣، العدد الثاني، ص ١٠٢.

(٣) رواه مسلم وأحمد وتقدم تخريجه من ١٠٢.

تليق (١١) والنية محلها القلب، فهي عمل قلبي لا عمل لساني.

ومنها الذكر الجماعي بعد الصلاة، لأن المشروع أن كل شخص يقول الذكر الوارد منفرداً.

ومنها طلب قراءة الفاتحة في المناسبات وبعد الدعاء وللأموات.

ومنها إقامة المآتم على الأموات وصناعة الأطعمة واستتجار المقرئين يزعمون أن ذلك من باب الغزاء أو أن ذلك ينفع الميت، وكل هذه بدع لا أصل لها وما أنزل الله بها من سلطان.

ومنها الاحتفال بالمناسبات الدينية كمناسبة الإسراء والمعراج ومناسبة الهجرة النبوية، والاحتفال بتلك المناسبات لا أصل له من الشرع.

ومن ذلك ما يفعل في شهر رجب كالعمرة الرجبية وما يفعل من العبادات الخاصة به كالتطوع بالصلاة والصيام فيه خاصة، فإنه لا ميزة له على غيره من الشهور لا في العمرة والصيام والذبح للنسك فيه ولا غير ذلك.

ومن ذلك الأذكار الصوفية بأنواعها، كلها بدع ومحدثات؛ لأنها متخالفة للأذكار المشروعة في صيغها وحيثياتها وأوقاتها.

ومن ذلك تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام، ويوم النصف من شعبان بصيام، فإنه لم يثبت عن النبي ﷺ شيء خاص به.

ومن ذلك البناء على القبور واتخاذها مساجد وزيارتها لأجل التبرك بها والتوسل بالموتى وغير ذلك من الأغراض الشركية.

وزيارة النساء لها مع أن الرسول ﷺ لعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج (١٢).

خطر البدعة:



البدع زيادة في الدين لم يشرعها الله ولا رسوله، والبدعة شر من المعصية الكبيرة، لأن العاصي يفعل المعصية وهو يعلم أنها معصية فيتوب عنها، والمبتدع يفعل البدعة يعتقد أنها ديناً يتقرب به إلى الله فلا يتوب منها، والبدع تقضي على السنن وتُكْرَهُ إلى أصحابها فعل السنن وأهل السنة.

(١١) الآية (١٦) من سورة المائدة.

(١٢) ابن أبي حنيفة، رحمه الله، ورسول الله ﷺ لعن زوارات القبور (زيارة القبور للنساء حديث ١٠٥٦٦ وابن ماجه كتاب ما جاء في الختان باب ما جاء في تبرع النساء الجفائر حديث ١٥٧٧).



معاملة المبتدع تحكمه قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وينظر فيه إلى تحقيق المصلحة ودفع المفسدة قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

هجران أهل البدع، وترك عبادتهم، وتشيع جنازهم، من باب العقوبات الشرعية، وهو يختلف باختلاف الأحوال من: قلة البدعة وكثرتها، وظهور السنة وخفائها: وأن المشروع هو: التأليف تارة، والهجران أخرى، كما كان ﷺ يفعل، لأن المقصود دعوة الخلق بأقرب طريق إلى طاعة الله، فيستعمل الرغبة حيث تكون والرغبة حيث تكون أصلح^(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «نقسم البدع إلى قسمين: بدع مكفرة وبدع دون ذلك، وفي كلا القسمين يجب علينا أن ندعو هؤلاء الذين يتسبون إلى الإسلام ومعهم البدع المكفرة وما دونها إلى الحق، فإذا وجد العناد والاستكبار فإننا نبين باطلهم.

أما هجرهم فهذا يترتب على البدعة، فإذا كانت البدعة مكفرة وجب هجره، وإذا كانت دون ذلك فإننا نتوقف في هجره؛ إذا كان في هجره مصلحة فعلناه، وإن لم يكن فيه مصلحة اجتنابناه، وذلك أن الأصل في المؤمن تحريم هجره لقول النبي ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»، فكل مؤمن وإن كان فاسقاً فإنه يحرم هجره ما لم يكن في الهجر مصلحة، فإذا كان في الهجر مصلحة هجرناه، لأن الهجر حينئذ دواء»^(٢).

أسئلة

- س١: بين حكم الاحتفال بمناسبة مولد النبي ﷺ مع الاستدلال لذلك.
- س٢: ما معنى التبرك؟ وما حكم التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص مستدلاً لذلك؟
- س٣: ما حكم التبرك بما انفصل من جسم النبي ﷺ، وما دليل ذلك.
- س٤: ما حكم التبرك بالصالحين، وما دليل ذلك؟
- س٥: ما حكم التبرك بالخبرة النبوية وغيرها من الأمكنة والآثار مستدلاً لما نقول؟
- س٦: اذكر نماذج من البدع المحدثّة في مجال العبادات.
- س٧: اذكر شيئاً من أضرار البدع.
- س٨: بين ما يجب أن يعامل به المبتدع.

(١) فتاوى ابن تيمية (١٠: ٢٤٠-٢٤١) باختصار.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١/ ٢٨٢-٢٩١، رقم الفتوى: ٢٤٧.

الباب السادس

أولاً :

مذهب السلف في كرامات الأولياء .

(أ) أصناف الناس في كرامات الأولياء .

ص ١٤٢

(ب) أنواع الكرامات .

ثانياً :

صفات أهل السنة والجماعة :

ص ١٤٣

منها :

(أ) سلوك طريقة الرسول ﷺ .

(ب) اتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

(ج) اتباع وصية رسولنا محمد ﷺ في الخلفاء الراشدين .

(د) أنهم يعظمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

(هـ) الاجتماع على الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ثالثاً :

مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي يتحلى بها أهل السنة

والجماعة .

مذهب السلف في كرامات الأولياء

من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء .
والكرامة: ما يجريه الله على أيدي أوليائه من خوارق العادات . فالكرامة أمر خارق للعادة، غير
مألوف للآدمي .

والأولياء: جمع ولي وهو المؤمن المتقي، كما قال تعالى:

﴿الْأَمْرُ أَوْلَىٰ آلِ اللَّهِ لِلَّهِ لَاحِقُفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٧) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَسْتَقِيمُونَ ﴿٨﴾ (١)

سمي ولياً اشتقاقاً من الولاء وهو المحبة والقرب، فولي الله من وإلى الله بموافقته في محبوباته والتقرب
إليه بمراضاته . وكرامات الأولياء حتى وقد دل عليها الكتاب والسنة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين .

أصناف الناس في كرامات الأولياء:

الناس في كرامات الأولياء على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من ينهبها من المبتدعة كالمعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة، وشبهتهم: أن الخوارق لو جاز
ظهورها على أيدي الأولياء لالتبس النبي بغيره إذ الفرق بين النبي وغيره - عندهم - هو
المعجزة التي هي خرق العادة .

الصنف الثاني: من يغلو في إثبات الكرامة من أصحاب الطرق الصوفية والقبوريين الذين يدجلون على
الناس ويأتون بخوارق شيطانية كدخول النار وضرب أنفسهم بالسلاح وإمساك الشعابين
وغير ذلك مما يدعونه لأصحاب القبور من التصرفات التي يسمونها كرامات .

الصنف الثالث: يؤمنون بكرامات الأولياء وبشيوعتها على مقتضى ما جاء في الكتاب والسنة وهم أهل السنة
والجماعة . ويردون على من نفاها بحجة منع الاشتباه بين النبي وغيره، بأن هناك خوارق
عظيمة بين الأنبياء وغيرهم غير خوارق العادات، وأن الولي لا يدعي النبوة ولو ادعاه
لخرج عن الولاية وصار مدعياً كذاباً لا ولياً، ومن سنة الله أن يفضح الكاذب كما حصل
لمسلمة الكذاب وغيره . ويردون على من غلا في إثباتها فادعاه للمشعوذين والدجالين

(١) (الأنبياء: ٦٤-٦٣) من سورة يونس .

- بأن هؤلاء ليسوا أولياء الله - وإنما هم أولياء للشيطان وما يجري عليهم إما كذب وتدجيل أو فتنة لهم ولغيرهم واستدراج. والله أعلم.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضوع كتاب جليل اسمه: (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان).

أنواع الكرامات:



والكرامة منها ما يكون من باب العلم والكشف بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره أو يرى ما لا يراه غيره بقظة أو مناماً، أو يعلم ما لا يعلمه غيره. ومنها ما هو من باب القدرة والتأثير.

مثال النوع الأول: قول عمر: يا سارية الجبل وهو بالمدينة وسارية في المشرق، وإخبار أبي بكر بأن بطن زوجته أنثى^(١)، وإخبار عمر بن الخطاب عن يخرج من ولده فيكون عادلاً، وقصة صاحب موسى وعلمه بحال الغلام.

ومثال النوع الثاني: قصة الذي عنده علم من الكتاب وإتيانه بعرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام وقصة أهل الكهف، وقصة مريم، وقصة خالد بن الوليد لما شرب السم ولم يحصل له منه ضرر.

ومما ذكر في القرآن الكريم من الكرامات ما ذكره الله من حمل مريم بلا زوج وما ذكر في سورة الكهف من قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب موسى، وقصة ذي القرنين.

وما ذكر في المنقول بالسند الصحيح عن الصحابة والتابعين كروية عمر لجيش سارية وهو على منبر المدينة وجيش سارية يتهاون بالمشرق وندائه له: يا سارية الجبل فسمعه سارية وانتفع بهذا التوجيه وسلم من كيد العدو. والكرامات موجودة في هذه الأمة إلى يوم القيامة ما وجدت فيهم الولاية بشروطها، وأولياء الله المؤمنون المتقون وهم لا يدهون الولاية، ولا يتهم لا تكون سبباً في ترك شيء من الواجبات ولا تعاليف أمراً من أمور الدين والله أعلم.

صفات أهل السنة والجماعة:



من صفات أهل السنة والجماعة:

١ - سلوك طريقة الرسول والسير على آثاره باطناً وظاهراً بخلاف المنافقين الذين يتبعونه في الظاهر دون الباطن، وآثار الرسول ﷺ، وهي ما روي عنه وأثر عن من قول أو فعل أو تقرير. لا آثاره الحسية كمواضع جلوسه ونومه ونحو ذلك لأن تتبع ذلك سبب للوقوع في الشرك، كما حصل في الأمم السابقة.

٢ - ومن صفات أهل السنة اتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لما خصهم الله به من العلم والفقه فقد شاهدوا التنزيل وسمعوا التأويل وتلقوا عن الرسول وبدون واسطة فهم أقرب إلى الصواب وأحق بالاتباع بعد الرسول. فاتباعهم يأتي في الدرجة الثانية بعد اتباع الرسول ﷺ. فأقوال الصحابة حجة يجب اتباعها إذا لم يوجد نص عن النبي - لأن طريقهم أسلم وأعلم وأحكم - لا كما يقول بعض المتأخرين - إن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم - فيتبعون طريقة الخلف ويركون طريقة السلف.

٣ - ومن صفات أهل السنة اتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)^(١).

وأهل السنة والجماعة يتبعون طريقة الخلفاء الراشدين على الخصوص بعد اتباعهم لطريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار على وجه العموم لأن النبي ﷺ أوصى باتباع طريقة الخلفاء الراشدين وصية خاصة في هذا الحديث، ففيه قرن سنة الخلفاء الراشدين بسنته عليه الصلاة والسلام فدل على أن ما سنة الخلفاء الراشدون أو أحدهم لا يجوز العدول عنه.

٤ - ومن صفات أهل السنة أنهم يعظمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويقدمونهما في الاستدلال بهما والافتداء بهما على أقوال الناس وأعمالهم ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله. قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ . . . ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾^(٢).

٥ - ومن صفات أهل السنة الاجتماع على الأخذ بالكتاب والسنة والاتفاق على الحق والتعاون على البر والتقوى، وقد أثمر هذا وجود الإجماع، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وقد عرّف الأصوليون الإجماع بأنه: اتفاق عليماء العصر على أمر ديني بعد وفاة الرسول ﷺ، وهو حجة قاطعة يجب العمل به بعد الأصلين الأولين وهما الكتاب والسنة.

٦ - ومن صفات أهل السنة أنهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة الكتاب والسنة والإجماع، جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له نعلق بالدين.

^(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح وسيل تهذيبه كون الكتاب.

^(٢) الآية ٨٧، ١١٢ من سورة النساء.

مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي يتحلى بها أهل السنة والجماعة

أهل السنة والجماعة يتحلون بمكارم الأخلاق التي هي من مكملات العقيدة ومن ثمراتها:

١- فهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. كما وصفهم الله بذلك في قوله:

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأُولَئِكَ أَنِ حَرَجْتَ مِنَ الْعَرَفِ وَيَتَوَقَّعُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِ يَكُونُوا عَلَيْهِ نَارًا ۚ وَكَانَ هَٰذَا مِن مَّا فُتِنَ بِهِ النَّاسَ ۚ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ وَكَانَ جَهَنَّمَ مَخْرُوجًا مُّخْرَجًا ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَافِقًا ۚ ﴾ (١)

توجيه الشريعة باليد ثم باللسان ثم بالقلب تبعاً للقدررة والمصلحة، خلافاً للمعتزلة الذين يخالفون ما توجيه الشريعة في هذا فيرون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الخروج على الأئمة، والمعروف: اسم جامع لكل ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح. والمنكر: اسم جامع لكل ما يكرهه الله وينهى عنه.

٢- ويرى أهل السنة والجماعة إقامة الحج والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كسانوا أو فجاراً ويعتقدون وجوب إقامة هذه الشعائر مع ولاية أمور المسلمين سواء كانوا صالحين مستقيمين أو فساقاً فسقاً لا يخرجهم عن الملة، لجمع الكلمة والابتعاد عن الفرقة والخلاف. ولأن الوالي الفاسق لا يعزل بنفسه ولا يجوز الخروج عليه لما يترتب على ذلك من ضياع الحقوق وإراقة الدماء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد أكثر من الذي في إزالته. وأما أهل البدع فيرون قتال الولاة والخروج عليهم - إذا فعلوا ما هو ظلم أو ظنوه ظلماً - ويرون ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- ومن صفات أهل السنة والجماعة أنهم يحافظون على الجماعات والجمعة؛ لأن ذلك من أعظم شعائر الإسلام وطاعة لله ورسوله ﷺ في ذلك.

٤- ويدبّتون بالنصيحة للأمة فيرونها من الدين. والنصح: إرادة الخير للمتصوح له وإرشاده إلى مصالحه. فأهل السنة يريدون الخير للأمة ويرشدونها إلى ما فيه صلاحها.

٥- ومن صفات أهل السنة التعاون على الخير، والتألم لألم المصابين منهم فهم يعتقدون معنى قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه» (٢) وقوله ﷺ: (مثل المؤمنين في

(١) الآية ١١١ من سورة آل عمران.

(٢) رواه البخاري ومسلم وصححه الألباني.

توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى^(١).

٦- ومن صفات أهل السنة ثباتهم في مواقف الامتحان يأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء.

والصبر عند البلاء هو: حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، وحبس الجوارح عن لطم الحدود وشق الجيوب.

والبلاء: الامتحان بالمصائب والشدائد.

الشكر عند الرخاء: وهو صرف العبد ما أنعم الله به عليه في طاعته. والرخاء: اتساع النعمة.

الرضاء بمر القضاء: ما يجري على العبد مما يكرهه كالمرض والفقر وأذى الحلق والحر والبرد والآلام.

٧- ويهتم أهل السنة بالأخلاق فيتحلون بالأخلاق الفاضلة ويرغبون فيها غيرهم فهم يدعون إلى مكارم الأخلاق، أي: أحسنها. ويدعون إلى محاسن الأعمال، كالكرم والشجاعة والصدق والأمانة ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٢) فيؤمنون به ويعملون بمقتضاه، وقوله: «أحسنهم خلقاً» أي: ألينهم وألطفهم وأجملهم.

وأهل السنة يدعون إلى التعامل مع الناس بالتي هي أحسن وإلى إيتاء ذوي الحقوق حقوقهم ويحذرون من أضداد تلك الأخلاق من الكبر والتعدي على الناس؛ فهم يدعون إلى أن تصل من قطعك أي: تحسن إلى من أساء إليك، وتعطي من حرمك فتبذل العطاء (وهو التبرع والهدية ونحوها) لمن منع ذلك عنك لأن ذلك من الإحسان، وتعفو عمن ظلمك فتسامح من تعدى عليك في مال أو دم أو عرض؛ لأن ذلك مما يجلب المودة ويكسب الأجر والثواب.

ويأمر أهل السنة بما أمر الله به من إعطاء ذوي الحقوق حقوقهم ببر الوالدين أي: طاعتهما في غير معصية، والإحسان إليهما بالقول والفعل. وصلة الأرحام، أي: الإحسان إلى الأقربين. وحسن الجوار، أي: الإحسان إلى من يسكن بجوارك ببذل المعروف وكف الأذى والإحسان إلى اليتامى؛ والإحسان إليهم يكون برعاية أحوالهم وأموالهم والشفقة عليهم. والإحسان للمساكين؛ والإحسان إليهم يكون بالتصدق

(١) رواه البخاري ومسلم وسبق تخريجه ص ١١٩.

(٢) رواه أحمد ج ٢ ص ٢٥٠، والترمذي، كتاب الرخاء، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ج ٣ ص ٤٦ وقال: حسن صحيح.

عليهم والرفق بهم. والإحسان إلى ابن السبيل والرفق بالمملوك ويدخل فيه المملوك من البهائم، والرفق ضد العنف وهو لين الجانب.

وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي، وهو المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب والبغي وهو العدوان على الناس والاستطالة على الخلق، بالترفع عليهم واحتقارهم والوقية فيهم بحق وبغير حق، لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر وإن استطال بغير حق فقد بغي ولا يحل لا هذا ولا هذا. ويأمر أهل السنة بالأخلاق العالية، وهي الأخلاق الحسنة. وينهون عن سفاسفها أي رديثها وحقيرها.

وكل ما يقوله ويفعله أهل السنة ويأمرون به وينهون عنه مما تقدم ذكره، وما لم يذكر، فقد استفادوه من كتاب ربهم وسنة نبيهم لم يبتدعوه من عند أنفسهم ولم يقلدوا فيه غيرهم، فقد قال الله تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، شَيْعًا وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾^(١).

والأحاديث في هذا كثيرة منها ما تقدم ذكره:

ومزية أهل السنة والجماعة العظمى هي أن طريقتهم دين الإسلام فهو مذهبهم وطريقهم إلى الله وأنهم عند الافتراق الذي أخبر النبي ﷺ عن حدوثه في هذه الأمة ثبتوا على الإسلام وصاروا هم الفرقة الناجية من بين تلك الفرق وهم الجماعة الثابتة على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وهو الإسلام المحض الخالص من الشوائب، ولذلك فازوا بلقب أهل السنة والجماعة، وصار فيهم الصديقون المبالغون في الصدق والتصديق، والشهداء القتلى في سبيل الله، والصالحون أهل الأعمال الصالحة. وفيهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى أولو المناقب الماثورة، والفضائل المذكورة.

ففي أهل السنة العلماء الأعلام المتصفون بكل وصف حميد علماً وعملاً وفيهم أئمة الدين المقتدى بهم كالأئمة الأربعة وغيرهم، وهم الطائفة المنصورة، أي: وأهل السنة هم الطائفة المذكورة في الحديث:

(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)^(٢)
نسأل الله عز وجل أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويخذل أعداءه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

(١) الآية (٣٦) من سورة النساء.

(٢) رواه مسلم كتاب الإمامة، باب قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ح ١٩٢.

أسئلة

- س١ : عرف الكرامة، واذكر أصناف الناس في الكرامة.
- س٢ : اذكر أنواع الكرامات، واذكر أمثلة لذلك.
- س٣ : لماذا يجب اتباع أقوال الصحابة إذا لم يوجد نص عن النبي ﷺ؟
- س٤ : ما الدليل على أن ما سنه الخلفاء الراشدون أو أحدهم لا يجوز العدول عنه؟
- س٥ : من صفات أهل السنة والجماعة أنهم يعظمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلماذا؟ مع ذكر الدليل.
- س٦ : لماذا سمي أهل السنة والجماعة بذلك؟
- س٧ : ما مرتبة الإجماع في أصول التشريع؟ وما تعريفه؟
- س٨ : من صفات أهل السنة والجماعة ثباتهم في مواقف الامتحان، فبأي شيء يكون هذا الثبات؟
- س٩ : عرف الفخر والخيلاء والبغي، ولماذا ينهى عنها أهل السنة والجماعة؟
- س١٠ : ما منزلة أهل السنة والجماعة العظمى؟

الواجبات المنزلية التي كلف بها الطالب

[illegible]